

الإسلام دين الحياة

الكتاب الأول

محمد الغزالي

أزمة الشورى

في المجتمعات العربية والإسلامية



دار الشروق للنشر

الإسلام دين الحياة
الكتاب الأول

محمد الغزالي

أزمة الشورى

في المجتمعات العربية والإسلامية

دار الشرق الأوسط للنشر

١٤

الطبعة الأولى
ربيع ثانى ١٤١١ هـ — أكتوبر ١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السلسلة

وهذا الكتاب

بقلم الناشر

عندما فكرنا في إصدار هذه السلسلة « الإسلام دين الحياة » كان المفروض أن يكون الكتاب الأول فيها بنفس عنوان السلسلة ، وذلك كتمهيد للسلسلة وتقديم لفكرة عامة عن موضوعها الواسع والشامل ، ثم رُئى أن نبدأ كتب السلسلة مباشرة ، وشاء القدر أن تكون « أزمة الشورى » هى الكتاب الأول فى السلسلة ، ولم يكن هذا غريباً ، فالشورى هى أخطر قضايا الإسلام كدين للحياة ، وذلك بعد التوحيد بالطبع .. وبالتالي ، فإننا ستكلم فى هذه المقدمة عن السلسلة أولاً ، ثم نقدم لكتابها الأول عن أزمة الشورى فى المجتمعات العربية والإسلامية .

« الإسلام دين الحياة » ، هذا الموضوع ألح على أذهاننا إلحاحاً شديداً لكى يولد ويخرج إلى الحياة ، وذلك فى جو أكثر فيه الكلام والتأليف عن الإسلام ، وتضاربت فيه التيارات ، واشتط بعضها متجهاً إلى فهم منغلق أو متزمت ، يضيق واسعاً أو يشدد ميسراً من هذا الدين ، ويجمع بزمامه إلى غير ما أراده الله ورسوله منه ، وكان ضرورياً أن نقوم ببعض المحاولات التى

نتصورها أنواراً كاشفة على الطريق ، تظهر ماغاب من معالمة عن الأنظار ، وتوضح ما التبس من أمره ، وتساهم في ترشيد حركة الصلوة الإسلامية التي تتردد صيحاتها بين جنابات الوطن العربي والعالم الإسلامي .

بديهي أننا سنقدم الإسلام في هذه السلسلة كدين للحياة ، أى بالمعنى الشمولى لهذا الدين ، والذي لم يدع شأناً من شئون الحياة ودروبها العديدة لم يقل فيه كلمته ، ولم يوضح فيه منهجه ، وذلك مصداق الآية الكريمة : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ ..

وبالتالى ، وعلى أساس هذا الفهم ، فإننا سنحاول من خلال كتب هذه السلسلة أن نقدم الإسلام كما أراده الله ، كدين جهاد ودين تسامح ، دين يحارب التفرق والتمزق والزندقة والشعوذة والخرافات ، ويحترم العقل والتفكير العقلانى ، ويدعو إلى احترام العصر ومواكبته والتفاعل معه وحل مشكلات الإنسان فى جميع انجالات ، ويحارب تغييب الناس عن شئون حياتهم وعن قضايا أمتهم ، كما أنه وفى نفس الوقت ، دين للناس كافة ، لا يحق لفئة أن تحتكر التحدث أو الحكم باسمه .. كما أن أحد أهم أهدافه وثماره فى آن واحد هو بناء الحضارة وتحقيق الحرية والعدل والمساواة ..

وإذا كنا نؤكد فى كتب السلسلة على أن الإسلام دين الحياة ، فى وقت أراد فيه البعض عزل الإسلام عن الحياة وعزل الحياة عنه ، بينما فهمه البعض الآخر فهماً قاصراً يقف به عند حدود العبادات ، فإننا من ناحية أخرى لا نقف بفهمنا لهذا الدين وحديثنا

عنه عند حدود هذه الحياة الدنيا ، بل يمتد إلى الحياة الآخرة باعتبارها هي دار القرار ، ويدعو إلى الاستعداد الكامل لها ، وبذلك يتحقق المعنى الكامل لحياة الإنسان المسلم ، حياة الجسد والروح معاً ، حياة الدنيا والآخرة معاً .. ولا يتحقق الأمران معاً إلا لمن استكمل الحياة لقلبه وعقله وجسده .. ولتأمل قول القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ۞ ﴾ .

وقوله : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ ۖ ۞ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ قَدِمْتُ لِحَيَاتِكُمْ ۖ وَهَذَا يَتَكَلَّمُ الْقُرْآنُ عَنْ الْحَيَاةِ بِاعْتِبَارِهَا هِيَ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ .

ثم قول القرآن الكريم : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ ۞ ﴾ أى الحياة الدائمة ، الحياة الحققة ، الحياة فى أعلى ذراها وفى أعلى درجات الحيوة والسعادة .

لعلنا نكون بذلك قد أوضحنا معنى الحياة فى هذه السلسلة ، والخطوط العريضة التى تتسع لها ، وذلك بالمفهوم الشمولى للإسلام ، وبالمعنى القرآنى لكلمة الحياة التى تمتد من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة .

أما عن الكتاب الأول من هذه السلسلة ، فإن الشورى .. هى بلا شك أقدس مبدأ تقوم عليه الحياة السياسية فى المجتمع

الإسلامى الحقيقى ، وهى فى هذه المرتبة من القداسة لأن الله أمر بها : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ولأن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين التزموا بها ، وقبل أن تُعرف الصيغ والمؤسسات الحديثة لممارسة الشورى من خلالها ، ولأنها قبل ذلك كله وبعده من ألزم اللوازم لإنسانية الإنسان وكرامته التى قدسها الإسلام وحافظ عليها ، والتى يستوجبها استخلاف الله للإنسان فى الأرض ، وتسخير مافى السماوات وما فى الأرض له .

لا يمكن بعد ذلك كله أن يكون الفرد فى مثل هذا المجتمع كماً مهماً ، وكائناً حياً يعيش مجرد العيش دون أن يكون له رأى فى أمور مجتمعة وبلده ، ودون أن يشارك مشاركة إيجابية فعالة فى صنع القرار وفى مراقبة تنفيذه .

على أن واقع مجتمعاتنا العربية والإسلامية كان بعيداً تماماً عن الشورى ، وعن روحها وحقيقتها ، وهى إما أنها لا تسلم بالشورى أصلاً ولا تأخذ بها .. وإما أنها تدعيها أدعاءً وتنتسب إليها زوراً وبهتاناً ، بينما هى فى الحقيقة جسد بلا روح ، ومظهر بلا مخبر ، وشكل بلا مضمون ، وبينما تجرى تحت لافتة الشورى مهازل مثيرة من تزوير للانتخابات ، وتزييف لإرادة الشعب ، وإصطناع لأغلبية كاذبة يحكمون باسمها ، بل ويمارسون فى ظلها الاستبداد والتسلط والقهر وجنى المنافع ونهب الأموال !!

من هنا ومن ذلك كله كان تقديمنا لهذا الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الغزالى عن أزمة الشورى فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ،

لعله يكون مساهمة فعالة في تشخيص الداء ، وفي التقدّم ولو خطوات نحو تطبيق الشورى الحقيقية .

على أننا نود إلى جانب الاشادة بـمضمون الكتاب ، الذى تنطلق كلماته كالقذائف النارية على رؤوس المستبدّين ، والذى يلقى الكثير من الضوء على الواقع المأساوى لمجتمعاتنا العربية والإسلامية ، نودّ إلى جانب ذلك أن ننوّه بأننا قد لانتفق مع بعض تقييمات المؤلف الفاضل لأحداث ورجال الخمسينات والستينات فى الوطن العربى ، ولكن يبقى للمؤلف رأيه الذى نحترمه ، ووجهة نظره التى نتفهمها .

وَتُبقي قضية الشورى مع ذلك كله وفى كل الأحوال ، هى القضية المقدسة التى تعلو فوق كل الأشخاص ، وفوق كل الاعتبارات .

١٩٩٠ / ١٠ / ١

الناشر

مقدمة

بقلم المؤلف

مازلت أعتقد أن ثروتنا من المواهب الثمينة والكفاءات
المثمرة كبيرة ، وأن حظوظنا من تلك المعادن النفيسة
لا تقلّ عن مثيلاتها لدى الدول العظمى .. !!

كل ما هنالك من فروق أن غيرنا انتفع بما يملك ،
وأتاح الفرص لبقائه ونمائه ، وعملت الحريات الموفرة
عمل الأشعة في إنضاج الزرع ، وعمل المياه في إمداده
بالنضارة والحياة ...

أما في أرجاء العالم الإسلامي فإن الحكم الفردي - من
قديم - أهلك الحرث والنسل ، وفرض ألوانا من الجذب
العقلي والشلل الأدبي أدوّث الآمال ، وأقنطت الرجال ..
والغريب أن هذا التخريب يناقض مناقضة ظاهرة
توجيهات الإسلام في كل ناحية !

هل في دين الله أهم من العقيدة ؟ لا ! إن الاعتقاد في
المنطق القرآني نبت وسط حرية البحث والتأمل وطلب
البرهان ! ولننظر إلى حديث القرآن عن المشركين ،

ونتأمل فى مساره ، يقول لله سبحانه : ﴿ أم اتخذوا من
دونه آلهة ؟ قل : هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معى وذكر
من قبلى ﴾ .

ليس هناك مجال لإلغاء العقل ورفض الرأى الآخر ،
لأبَد من تبادل الحجج ونشدان الحقيقة وحدها .. لامكان
لتكميم الأفواه وفرض وجهة نظر واحدة ..

صاحب الصواب لايهاب النقاش ، صاحب الحق
يَغشَى به المجالس ، وَيَقْرَع به الآذان ..

المأساة تحدث من مُبطل يريد بالعصا أن يخرس
الآخرين ، ومع تفاهة ما عنده يقول مقالة فرعون قديما :
﴿ ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ .

فالى أين قادهم ؟ إلى الغرق فى الدنيا والحرق فى
الآخرة ؟! . إن الاستبداد السياسى يُبيد كل أسباب الارتقاء
والتقدم ، ولا تصلح الحياة برجل يزعم العلم بكل شىء ؛
ويتهم الناس كلهم بأنهم دونه وعيا وفهما ..

لقد نهضت دولة الخلافة على دعائم الشورى ، وكان
المبدأ المقرر عند كل خليفة « إن رأيتم خيرا فأعينونى ،
وإن رأيتم شرا فقومونى » . ومن هنا أُرست دعائم الحق
إلى قيام الساعة .

والدول الكبرى الآن ليس فيها مكان للتفرعن والادّعاء
الأعمى ، إن هذه الآفات للأسف تكثر فى الدويلات التى
تعيش فى غيبوبة التخلف والاستسلام لجلّادها ..

وهذا الكتاب صيحة تحذير من غياب الشورى ،
واستخفاء الحريات العامة ، وإهدار كرامات الشعوب .

محمد الغزالى

مدخل

كُتبت هذه الكلمات في مطلع القرن الهجرى الحالى « الخامس عشر » ، وحين أردت أن أتعرض لأزمة الشورى فى مجتمعاتنا رأيت أن من الأفضل أن أتعرض أولاً لواقعنا العربى والإسلامى ، ولما يشوب هذا الواقع من هوان وضياع هو النتيجة الحتمية لغياب الشورى الحقيقية ، ولشروع الاستبداد السياسى فى هذا الواقع المؤسف ..

لقد شق الإسلام طريقه إلى آفاق العالم فى وجه مقاومات عديدة متصلة ، كانت قوى الشر والجهل تتشبث بها فى كل مكان .. ولولا الصلاحية الذاتية للإسلام ، ولولا تجاوبه مع نداء الفطرة واتجاهات العقل لانهزم فى أكثر من ميدان ، وأصبح حديثا يروى لا حقيقة قائمة !!

ولنضرب المثل من « مصر » التى نعيش فيها ويحتفى الإسلام بصدور بنيتها .

ولقد شرحنا فى موضع آخر كيف انتشر الإسلام بها ، كانت مصر مستعمرة رومانية ، وشاء الله أن تعتنق النصرانية على غير هوى من الرومان الذين كانوا وثنيين .

وحاول المستعمرون بكل وسائل البطش فتنة المصريين عن دينهم ، وسال الدم غريرا في المدائن والقرى ، ومع ذلك كله تكسرت أمواج القوة أمام صلابة المعتقد ، وبقي المصريون على دينهم الذى ارتضوه ..

ثم اعتنق الرومان النصرانية على مذهب فى الإيمان لم يعرفه المصريون ، وحاول الرومان مرة أخرى أن يشدوا المصريين إلى وجهتهم ، وبدأ عصر آخر من الاضطهاد ، وفى تلك الأثناء دخل العرب مصر يحملون تعاليم الإسلام . فماذا حدث ؟

إن الفاتح المشتبك مع الرومان عرض الإسلام على الناس عرضا نظريا عابرا ، ولم يحاول احراجهم ليسلموا ، كل ما طلبه عون مالى تافه ليستطيع الاستمرار فى مقاتلة الرومان مع إراحة الجماهير النصرانية من أعباء هذا القتال !

وهنا يقرر التاريخ حقائق ذات بال ! إن الشعب الذى بذل دمه ضد الرومان دفاعا عن ديانتهم التقليدية أخذ يتحول رويدا إلى الإسلام !

ويستحيل على عاقل أن يرد ذلك إلى التخفف من عبء مالى ، إلا إذا كان الإنسان يستسهل بذل الروح ويستصعب دفع قروش ! والغريب أن أحد الولاة السفهاء هاله أن أعدادا كثيفة من المصريين دخلت فى الإسلام وأن الضريبة المفروضة نقصت ، واضطربت بذلك موارد الخزنة .

فماذا صنع هذا الوالى الأحق ؟ استبقى الجزية على من يسلم

من النصارى ! .

ومع ذلك بقى المصريون يدخلون فى دين الله أفواجا ، ويدفعون المال المطلوب .

حتى جاء عمر بن عبد العزيز فكتب إلى حاكم مصر يقول له :
ويحك ان محمدا بعث هاديا ولم يبعث جاييا ، ضع الجزية عمن
أسلم .

فاستراح المسلمون الجدد من الظلم التازل بهم ، أو الفتنة التى
تصدهم عن سبيل الله ..

وظاهر من هذا السياق التاريخى الحاسم أن المصريين آثروا
الإسلام عن حب ، وأن إعجابهم به هو الذى دفعهم إليه ، وأنهم
قاوموا بعض العرب السفهاء الذين عرقلوا خطاهم وهم يحفون إلى
اعتناق الإسلام .. !!

إن هذا المنظر الغريب لم يكن حكرا على وادى النيل ، فقد شرق
الإسلام وغرب ، وطوى السهول والجبال ، والطاقة الفذة التى يندفع
بها هى صلاحيته الذاتية أولا ثم أهل الفداء والعبادة من الفقهاء
والدعاة والقراء والتجار ، وقليل من الحكام الطيبين .

لم تكن أجهزة الحكم مشغولة بنشر الدين أو مهتمة باستغلال
سلطتها فى اكراه الناس عليه ..

كان الحاكم المسلم أشبه بتاجر يفخر بنفاسة ماعنده من سلع فهو
لا يحسن العرض ولا الاغراء ولا استجلاب « الزبائن » .

حاجة الناس إلى الأجدود ستضطربهم إلى الزحام على بابه .
على حين كانت هناك سلع مغشوشة قبض القدر لها سماسرة مهرة
يسحرون بها الأعين ويستدرجون السذج .

ومضت القرون والإسلام بما له وما عليه ينطلق هنا وهناك
ويشتبك مع القوى المناوئة في حرب سجال ، ثم تكاثرت الفتوق
والخيانات في الجانب الإسلامي ، وطلع القرن الرابع عشر على
أمة انهكتها العلل ، ودين ليس له رجال ، فانفرط العقد كله ، وتفرق
المسلمون شذر مذر ، واستنسر بأرضهم البغاث ، وحكمتهم شراذم
دخيلة من الملحدين ، واليهود ، والنصارى ، الذين لا تصح لهم صلة
بالسما .

ما الوضع في نهاية القرن الرابع عشر ؟

استمكن أعداء الإسلام من خناقه ، فتم لهم تمزيق جماعته الكبرى
اشلاء منشورة على صعيد القارات الخمس ، وانشغل كل شلو بنفسه
فما يدرى عن صنوه شيئا ، ثم قامت كيانات مستقلة للمسلمين ،
افتقدت روح الإسلام الحقيقية ، واجهت تركة ثقيلة من التخلف
ومضاعفات النزف الاستعماري لثرواتها ، ولم تستطع هذه الكيانات
أن تحفظ كرامة الإنسان المسلم في داخلها ، ولا أن تعترف له بأيسر
حقوقه في الشورى والمشاركة في الحكم .

يزيد تعداد المسلمين في العالم أجمع على ألف مليون نفس . وقد
ذكر الشيخ محمد المنتصر الكتاني في محاضرة له بمكة المكرمة ، تستقى
معلوماتها من هيئة الأمم المتحدة أن المسلمين ٨٢٧ مليوناً من الأنفس ،

ثلثهم يعيشون (أقليات) في سلطان حكومات شيوعية ووثنية
ونصرانية والباقيون يقيمون في دول مستقلة بلغت ٤٠ دولة .

وقبل أن نتحدث عن أحوال الثلث والثلثين في الإماعات عاجلة
نذكر إن هناك حرب إحصاءات مزورة يشنها أعداء الإسلام على أمته
السكرى كى يزيدوها بلبلة وحيرة .

إن السنغال يقطنها أكثر من ٩٥ ٪ من المسلمين ، وحكومتها
نصرانية .

وتنانيا المكونة من زنجبار وتنجانيقا يقطنها أكثر من ٨٥ ٪ من
المسلمين وحكومتها نصرانية ، تعمل بحرارة لضرب الإسلام في وسط
إفريقيا وشرقها .

وهناك أعداد مكذوبة عن نصارى غانة وجنوب السودان توهم
أنهم أغلب السكان وهم في الحق بين ١٥ ٪ ، و ٢٠ ٪ ولا يقل
المسلمون عنهم عددا .

ومع ذلك فقد صنع الاستعمار العالمى عشرات الدول النصرانية
في قارة إفريقيا وغيرها ليكتم أنفاس المسلمين داخل سجونها المعتمة .

وقد أشاع موارد لبنان أنهم كثرة السكان مع أنهم لا يبلغون
٢٠ ٪ من تعداد البلد الذى يراد تنصيره بالخدعة طورا وبالسلاح
طورا ، ليكون بعد تهويد فلسطين قلعة أخرى لضرب الإسلام ورده
إلى الصحراء كما يقولون .. !!

إن المسلمين لا يقلون عن ألف مليون ، وإن كانت حرب
الإحصاءات تبرز غير ذلك .

ولست متحمسا لإثبات ما أقول ، فلو كان المسلمون ضعف أعدادهم الصحيحة ما أغناهم ذلك شيئا بعدما أثبتت التجارب أن القلة العاملة خير من الكثرة العاطلة .

بيد أني أريد فحسب لفت النظر إلى صنوف المؤامرات التي تبث لهذا الدين ولاتباعه المقهورين في كل قطر ..

والجهود تبذل الآن باصرار وقوة لصرف المسلمين عن دينهم ، وتجهيلهم في تراثه وقيمه ويومه وغده .

وبديه أنها أدنى إلى النجاح وسط « الاقليات » المرهقة المغلوبة على أمرها ويتم صرف المسلمين عن دينهم بوسائل لا عبقرية فيها ..

قال لي مسلم أندونيسي : ان إحدى شركات المياه الغازية قبلت أن يعمل بها رجل مسلم بمرتب حسن ، وبعد عام من استقرار امره واجتماع شمله فوجيء برئيس الشركة يقول له : إن أمامك مهلة شهر لتدخل في النصرانية وإلا فصلت ، وقال الرئيس معذرا أو مؤكدا : هذه هي الأوامر التي صدرت له من الجهات العليا ..

وتنصر البائس ..

وقرأت في تقرير عن مسلمي استراليا مقدم إلى جامعة الملك عبد العزيز أن « فلانا » قدم من استانبول لاجئا إلى القارة الجديدة يبتغي الرزق ، وكان رب أسرة كبيرة ، وطرق الأبواب الموصدة فلم يفتح منها باب ، وعرض عليه التنصر هو وأسرته ليضمن العيش ، وقبل التركي الهارب من بلده أن يرتد عن دينه .

قال الدكتور حسن باجودة مقدم التقرير : إن هذه الأسرة

بلغت الآن مائتى نفس ، منها مائة وستون من الكاثوليك وأربعون من البروتستانت ..

لقد قلت : ان أعداء الإسلام لم يقوموا بحيل عبقرية لينالوا من أمته ، ان وسائلهم عادية ، والقانون — كما يؤكدون — لا يحمى المغفلين .

وإذا عجز المسلمون عن خلق أوضاع اقتصادية تحمى عقائدهم وإذا عجزوا وهم في داخل بلادهم عن أن يحترموا حقوق الإنسان للمسلم وكرامته وحرية رأيه وحقه في حكم نفسه بنفسه — إذا عجز المسلمون عن ذلك فلا يجوز أن يلوموا المتربصين بهم ، المتخطفين لأبنائهم .

وإنه ليحز في النفس أن يكون لدينا أغنياء يبذلون الألوف المؤلفة في إشباع الشهوات ، وتبغف أصابعهم عن بذل شيء في حماية الأرض والعرض والإيمان والشرف .

إن الألف مليون مسلم الذين ينتشرون الآن على ظهر الأرض يواجهون مستقبلا غامضا ، وتستوى القلة والكثرة أمام هذا المستقبل لأن الإسلام الذى يجمع بينها رباط منكور أو هو رباط ثانوى في أحسن الظروف ، والرباط الأول هو القوميات الضيقة أو الموسعة ..

نعم ، إن القوميات كلها — وأولاها القومية العربية — تعد الإسلام ضيفا على الوطن ، ربما كان ضيقا خفيفا أو ثقيلًا حسب المزاج الوطنى ..

فإذا حاول هذا الدين التذكير بحقه والمح إلى أنه صاحب البيت

كان الجواب العجل : خذ عصاك وارجل ، ليس الولاء لك ولا الدفاع عنك ..

وعندما استفحلت الأزمات السياسية ، وجاءت اليهودية هاجمة علينا من أطراف الأرض قررت القوى المعادية للإسلام أن تستبعده من المعركة ، ورأينا عجبا ...

رأينا « ييجين » اليهودى البولندى يطرد عمد القدس والخليل ونابلس ، ويصيح . هذه الأرض باسم التوراة لى وحدى .

واستحيا العرب أن يلوذوا بالإسلام مدافعين ، أو يذكروا اسمه فى أى مجال ، أو أن يقيموا نظمهم السياسية والاقتصادية على أساسه .

لا إسلام هنالك ، لا تنادى باسمه ، لا تجمع عليه .. ربما طلب عند الغرق لأن الضرورات تبيح المحظورات وعندئذ يطلب ليكون دوره ثانويا وحسب .

إن العالم الإسلامى ، والجماعة الإسلامية ، والتضامن الإسلامى ، والأخوة الإسلامية كلمات جوفاء الرنين قد يكون لها فى عالم الخطابة دوى ، أما عالم الواقع فكلمات لا يجوز أن تذكر ..

وخلال القرن الرابع عشر ، وقبله تمكن أعداء الإسلام كما قلنا من تقطيع الكيان الكبير ، وشغل كل كيان محتل أو مستقل بقضاياها الخاصة فهو يلهث وراءها لا يذكر غيره ولا يلوى على شيء ..

وفى ذلك الجو النكد وقعت مذابح رهيبة بين جماهير المسلمين المبعثرة فى المشارق والمغارب أذكر ماعلق بذهنى منها خلال العام الأخير .

١ — في الدورة الحادية عشرة للمؤتمر الإسلامي عرضت مأساة مسلمي « كمبوديا » الذين كان عددهم ٧٠٠٠٠٠ فأصبحوا بعد سيادة الشيوعية ٢٠٠٠٠٠ .

أين ذهب نصف مليون مسلم ؟ تلاشوا في صمت ! فإن عصابات « الخمير روج » التي ملكت السلطة أبادت خصومها من الشيوعيين أنفسهم ، حتى أن الأمير سيهانوك الشيوعي المعروف فر من وجهها فكيف تكون معاملة المسلمين ؟ .

وقد يظن أنهم فروا مع جماهير اللاجئين إلى « تايلاند » ..

ولكن تايلاند تضطهد رعاياها المسلمين وتضن عليهم بحقوق الإنسان ، ويوجد بها أربعة ملايين مسلم يعانون الضياع والهوان .

هل كان لمسلمي « كامبوديا » مهرب آخر ؟ مثلما أتيح لنصارى « فيتنام » ؟ كلا أن العالم المسيحي استقبل الفارين من الحكم الشيوعي في « فيتنام » وأغلبهم من صنع الحركات التبشيرية الناجحة .

أما المسلمون في هذه البقاع النائية فمن يحس أزمته ، ويفتح قلبه وأرضه لهم ؟

لقد تركوا لكي يهلكوا في صمت .. ولقد هلكوا والمسلمون سكوت في كل مكان .. !

٢ — جرب الروس في أفغانستان بعد احتلالها غاز الأعصاب ، وتمكنوا به من إبادة قرية إسلامية كاملة ، وانطلقت إشاعة الحنة التي نزلت بقرية « خير الله » والتي تحولت بعد إلى مقبرة كبيرة ..

قالت صحيفة الأخبار في عدد ٨ / ٦ / ١٤٠٠ أن محطة التليفزيون الأمريكي « سي . بي . إس » أرادت استقصاء الحقيقة فأرسلت بعثة خفية إلى أفغانستان لترى هل حدث حقاً هذه الفظائع المروية ؟ وهل لوثت « موسكو » وجهها إلى هذا الحد !

هل وقعت بالفعل مجزرة « خير الله » تلك القرية التي قتل فيها بطريقة جماعية ألف ومائة رجل وامرأة وطفل ؟ وهل توجد أدلة قائمة على استخدام الروس لغاز الأعصاب ؟

لم يزد أعضاء البعثة على خمسة من الصحفيين والفنيين وصاحبهم طالب من جامعة « هارفارد » يدرس علوم الشرق الأوسط ، ويجيد اللغة الفارسية ، ويستطيع القيام بأعباء الترجمة ..

وعندما انطلقت البعثة لاداء عملها انضم إليها دليل من أحد زعماء المقاومة وقد استغرقت الرحلة ستة أيام حافلة بالأخطار ، قطع الرجال المغامرون خلالها أكثر من مائتي ميل بحثاً عن القرائن والشهود ، أطلقوا خلالها لحاهم ، وارتدوا زى الأفغان المحلي ، إمعاناً في الاستخفاء .

ومن أهم ماسجلته البعثة أن رجال المقاومة البواسل كانوا يعرضون عنهم ويشيخون بوجوههم عندما يعلمون أنهم أمريكيون لأن الموقف الأمريكي بإزاء الروس كان هزيعاً ، لم يزد عن مقاطعة الألعاب الرياضية في « موسكو » .

وجاء في التقرير أن المقاومة تلتحم بالشعور الديني ، وان الإسلام من وراء هذه الحرب الدفاعية المستميتة وان المجاهدين كانوا

يقولون : حربنا مع السوفيت سوف تستمر مشتعلة ولو لمائة عام
وسوف يخوضها الآباء ويورثها عنهم الأبناء ، حتى آخر رجل ..

وتتبع البعثة الأمريكية أنباء القرية الذبيحة ، وتحدثت مع
شهود الحادث الذين أفلتوا من الموت ، وتفقدت الأطلال الخاوية
والآثار الموحشة ، واستيقنت أن أمرا بالافناء الجماعى قد صدر ونفذ
بدون اكتراث !!

اصدرته إحدى القوتين العظميين فى العالم ضد ناس يحملون
البنادق البدائية دفاعا عن دينهم وأرضهم .

تقول الأستاذة / مها عبد الفتاح بعد إثبات القصة الفاجعة :
أين نصيب « خير الله » من الدعاية (الميلودرامية) على امتداد العالم
الكبير ؟ ولماذا لا يحظى المقاومون الأفغان بمعشار البطولة التى ظفر
بها الفيتناميون الشماليون وهم يقاومون الولايات المتحدة !

وتتساءل كذلك هل ذهب صحافى مصرى أو عربى ليعرف
ما هناك ، وليزود العرب والمسلمين بالوقائع من مصدرها الأول ،
لا نقلا عن وكالات الأنباء العالمية ؟

والإجابة على هذه الأسئلة معروفة لدينا ، إن التعتيم على الجهاد
الإسلامى خطة دولية مقررة ، وما نرتاب فى أن الدم الإسلامى
أرخص دم فى القارات الخمس ..

ونحن نعرف بواعث هذه الخطة ، ولكننا لا نزال نسائل العرب
والمسلمين ما معنى تجاهلهم لآلام إخوانهم وتبليدهم بإزائها ؟
واستغراقهم فى المجون وأهلوهم يبيدون ؟؟

أنا لا ألوم الولايات المتحدة على هزال موقفها من الروس ، فإن
هذا الموقف أشرف من مواقف عرب قرروا أن يلعبوا في موسكو
مع الجلادين الذين استباحونا !!

إن المجاهدين الأفغانيين — مثل كثيرين غيرهم — يهلكون
والمسلمون سكوت ، لأن الجسد الواحد أمان الشلل أجزاء كثيرة
فيه ، فما تنتظمه دورة إحساس مشترك ...

٣ — في رجب سنة ١٣٩٩ طالعت عددا من صحف المملكة
العربية ودول الخليج ، قرأت وأنا كتيب مصرع ٥٠٠٠ مسلم في
تشاد ، كانوا تجارا من شمال البلاد ، أى من الكثرة المسلمة يعملون
في الجنوب أى بين الزنوج الذين نقلتهم بعثات التبشير إلى
النصرانية ...

وفي فورة حقد أعمى وثبت العصابات الصليبية على التجار
المتفرقين في أعماق القرى ، واغتالهم واحدا واحدا ، وغنمت رؤوس
أموالهم !!

وشاع النبأ الدامي ، فلم تعلق عليه دول الجامعة العربية ، لأنه
لا يعنينا ! وقرأه عوام المسلمين ببلاهة رائعة ، فقد دربهم الغزو الثقافي
على استقبال هذه المصارع ببرود !

وكنت مدعوا لزيارة الكويت لإلقاء محاضرات بها ، وكان
مهلك هذه الألوف من الموحدين المستضعفين يؤجج النار بين
أضلاعى ، وتحدثت إلى رواد « جماعة الإصلاح الاجتماعى » وذكرت
أن مثل هذا الحادث وقع لحشود من التجار السودانيين المسلمين كانوا

قد انتقلوا من الشمال للعمل في الجنوب فوثب عليهم عملاء التبشير ،
وأذاقوهم الحتوف فما نجا منهم أحدا !!

واقترحت أن نحدد يوما للشهداء ، أو يوما نسميه يوم الدماء
نبكى فيه قتلاتنا ، وإن كانت الدموع شر الأسلحة .

قلت : إن صعلوكا من اليهود يخدش ظفره يتحرك له مجلس
الأمم ، أما نحن فإن الألوف منا يقتلون فما يكثر لمصائبهم أحد
في الهيئة الدولية ..

وإذا لم نغضب نحن لمصائبنا ، فلا نلوم الذين يستقبلونها وهم
لا هون ...

واستمع الناس إلى الاقتراح وهم محزونون !

٤ — في ١١ من المحرم / ١٤٠٠ نشرت صحيفة الرائد التي
تصدرها ندوة العلماء في (لكهنو — الهند) هذا المقال تحت عنوان
« سقوط ألف مسلم في مذبحه بالكاميرون » !!

قالت الصحيفة الهندية : أذيع تقرير إخباري لمراسل صحيفة
« صنداي تلغراف » البريطانية عن انتفاضة كبرى عمت المنطقة
الشمالية من « الكاميرون » — وهي المنطقة الإسلامية — وقد قتل
فيها ١٤ جنديا وجرح الحاكم الإقليمي مما أدى إلى استدعاء قوات
الجيش لقمع الثائرين وتأديبهم ..

قال المراسل الانجليزي : إن حوالى ألف شخص بين رجل وامرأة
وطفل سقطوا في المذبحة الانتقامية ، وإن مجتمعات سكنية كاملة تمت

لإبادتها ، ثم جرت محاولة لاغتيال « أحمدو اهيديو » رئيس الجمهورية وهو مسلم من الشمال ..

قال المراسل : يبدو أن سبب ماحدث هو التوتر المتزايد بين الجنوب المسيحي والشمال المسلم .

قال : ويدعى المسلمون أن النصارى الجنوبيين يحصلون على ميزات خاصة ، وأن التفرقة في المعاملة ملحوظة ، وأن النصارى يفوزون بمعظم المناصب الحكومية وأن العنصر المسيحي هو الغالب في تكوين الجيش .. !!

هذه هي مزاعم المسلمين كما يرويها المراسل الانجليزي .

ثم قال المراسل المحايد بعدئذ : إن أعمال القتل بين المسلمين بدأت منذ ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٩ عندما بدأ المسلمون في « مكارى » وما حولها يحتجون على سوء استخدام موظفى الحكومة للأموال التى يحصلونها لغرض إنشاء المدارس هناك — وهؤلاء الموظفون جميعا جنوبيون — ويقول المسلمون : إنه لم يتم إنشاء المدارس المطلوبة ، والقليل الذى أنشئ بنى بالطين لا بالأسمت ، وتقول المصادر الحكومية ، إن المعارضين لقوا تشجيعا من أحد رجال الدين القادمين من « تشاد » فقد ظل عدة أيام يعظ المسلمين ويحرضهم على التمرد ، ورفض تصرفات الحكومة .

ولم تكن السلطة الحاكمة تقدر خطورة الموقف بادىء الأمر فاكتفت بإرسال « عثمان مى » حاكم الإقليم الشمالى ومعه أربعة عشر رجلا من رجال الشرطة للتفاوض مع المتمردين ..

ولكن المتمردين قتلوا البعثة الحكومية ، واستطاع رئيسها الهرب
بعدها أصيب برصاصة في قدمه ..

وفي اليوم التالي تحرك الجيش ، وانزلت الطائرات المروحية جنودا
كثيرين في المنطقة الغاضبة ، وبدأت للفور أعمال الحرق والقتل ،
وذكر أحد الفلاحين الهاربين أن الرصاص كان يطلق على كل
شخص ، وأن النار كانت تشعل في كل كوخ .. ولم تقع مقاومة
تذكر ..

ويؤكد اللاجئون أن القتل نحو ألف شخص ، وذكرت السفارة
الأمريكية في « جامينا » أن التقارير التي جاءتتها تشير إلى أن القتل
من المسلمين بلغوا ثمانمائة قتيل فقط .

وبالرغم من أن المنطقة أمست كلها في أيدي الجنود بعد سحق
التمرد فإن الوسائل البشعة التي اتبعوها في قتل المسلمين أثارت مرارة
شديدة في كل نفس ، وظهر أن الحكومة تريد تلقين المسلمين درسا
يمنعهم من محاكاة مسلمي « تشاد » أه — الصنداى تايم بتصرف
قليل .

أننى أجزم بأن هذه القصة لم تستلفت أجهزة الإعلام في الشرق
الأوسط كله ، لا نقلا ولا نشرا ، فليس فيها ما يثير !

ما قيمة قتل ألف مسلم في بلد اسمه « الكاميرون » ؟

إن أجهزة الإعلام قد تهتم بإذاعة مباراة لكرة القدم ، يحتشد
مئات الألوف لرؤيتها ، نعم فإن الناس عندنا تسحرهم فلسفة الأرجل
المتحركة في الميدان المائج .

أما فلسفة القوب المتوهجة باليقين .

وأما فلسفة العقول الباحثة عن الحق .

أما فلسفة العقائد المتطلعة للحياة — فهذه أمور ليست ذات

بال .. !!

وما ينقضى عجبى من إهمال العرب لمأساة الكاميرون هذه

وإقامة جدار من الصمت دونها ..

أما مسلمو الهند فقد شعروا بالمصيبة ونشروها ، ولولا يقظتهم

الإسلامية ما عرفتها أنا ..

وأتساءل أخيراً : هل التفرقة العنصرية التى شكها منها المسلمون

كانت موضع تحقيق ؟ هل سرقة حقوقهم المدنية والعسكرية أغضبت

أحدا ؟

أم المقصود أن الأرض الإسلامية المترامية الأطراف يسرح فيها

الشيوعيون والصليبيون ويحتازون لأنفسهم ما يريدون دون أن ينبس

أحد ببنت شفة ... ؟

فى هذه العجالة لا أريد أن أسجل خسائر المسلمين وهزائمهم

على مدى قرن من الزمان مثلاً ، كلا ، إننى أريد تسجيل ما علق

بذهنى من الام هذه الأمة خلال عام .

ولم أتعرض لما ذاع وشاع من مآسيهم فى الفلبين ، حيث القتل .

ألف ، ولا إلى ما استخفت أنباؤه من مذابح المجاهدين فى بعض

البلاد العربية .

(

لقد أردت فقط إبراز الانهيار السياسى للدولة الإسلامية
الغاربة ، والآثار المخزية لهذا الانهيار الذى يصحبنا ونحن نستقبل
قرنا جديدا ..

كان المسلمون فى القرون الأولى عشر معشار عددهم الآن ،
بيد أنهم كانوا أعز جانبا وأحمى أنفا .

وليس صعبا أن تقوم لهم دولة كبرى تلم شملهم وتأسو
جراحهم ، فإن المسلمين يقاربون « الصين » فى التعداد ، وقد قامت
للصين دولة كبرى ، واعتبرت اللغة الصينية من اللغات الخمس التى
كتبت بها موثيق الأمم المتحدة .

على أنى لا أرى ذلك الحل الأوحده أو الأمثل .. فإن نظام الخلافة
يجب أن يدرس بدقة من خلال التعاليم الإسلامية والتطبيقات التاريخية
على سواء .

إن الخلفاء على مدى القرون الأربعة عشر كانوا من بنى أمية
والعباس وعثمان .

ولم يقل أحد ان الله سبحانه وتعالى نخص هذه الأسر بالعبقريه
والتقى ، وجعل نفرا منها يحتكرون قيادة المسلمين أجمعين جيلا بعد
جيل .

إن من هؤلاء الخلفاء من اقترف فى جنب الله المناكر ، ولو
جرد من أردية السلطة وقدم إلى قضاء عادل لأمر بضرب
عنقه ..

وقد تنبأ صاحب الرسالة الخاتمة — عليه الصلاة والسلام —
بتحول الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض .. ومن حق الأمة التي
تأذت رسالتها وتردت سيادتها أن تعيد النظر مرة ومرة في الأسلوب
الذي تحكم به جماعتها وتبلغ به دعوتها .. !!



الاستبداد السياسى

إن الاستبداد السياسى داء دوى ، وليس أسوأ منه إلا تجاهل أثره والتعامى عن خطره !

وللشورى مفهوم غامض عند بعض المتحدثين الإسلاميين ، ومفهوم مضاد لحقيقتها عند بعض آخر ، ولو وقع زمام الأمور فى أيديهم لأعادوا حكم الملك الغورى فى القاهرة ، أو السلطان مراد فى الأستانة .

وأحدّهم ذكاء من يعيد السلطة لصاحب الكلمة الفاجرة :
[« أمير المؤمنين » هذا ، فإن هلك فهذا ، فمن أبى فهذا]
— مشيراً إلى سيفه — !!

وهذه الميوعة فى مفهوم الشورى الإسلامية لا تزيد المسلمين إلا خبالاً وفوضى .. وسببها قلة الفقهاء أو انعدامهم فى ميدان الدعوة ، وازدحام هذا الميدان بذوى المعلومات الكاسدة أو التجارب القليلة أو الحماس الأجوف ..

إن المفروض فى الشورى أن تقى الأمة سيئات شتى ..
منها إعجاب الغبى برأيه ، ورغبته فى فرضه على الناس وقديما
قيل : من البلاء أن يكون رأى لمن يملكه لا لمن يبصره . وقد
نفذ هذا فرعون عندما قال لقومعه : ﴿ ما أرىكم إلا ما أرى ﴾ ..

ومنها إن المستبدين يضعون أنفسهم فوق المسئولية ، إنهم يخطئون الخطأ الرهيب ، فإذا افتضحوا كان غيرهم غالبا كبش الفداء ، والشورى إذا لم تق الأمة هذا البلاء فلا معنى لها .

إن كل المصائب التي تحيق بالعرب الآن سببها هزيمتهم سنة ١٩٦٧ ، والغريب أن صانع هذه الهزيمة أو بطلها الفذ لم يوجه إليه لوم ، أو ينسب إليه عيب .

والحكم الفردى عظيم المهارة فى التحريف والتزييف والنجاة من التبعات . !

ومن ميزات الشورى أنها ترد الحاكم إلى حجمه الطبيعى كلما حاول الانتفاخ والتطاول ، والجماعات البشرية السوية ، فيها رجال كثيرون يوصفون بأنهم قمم . أما البيئة المنكوبة بالاستبداد فدجاج كثير وديك واحد ، إن ساغ التعبير !!

ومقابح الاستبداد بعيدة الاماد ، ومع ذلك فإن بعض المتدينين مصاب بالرمذ المزمع فهو لا يراها ، وإذا تلا نصوص الشورى فى دينه قال : ثم للحاكم أن يمضى على رأيه لا على الشورى !

إن التقادم لا يسقط الإثم ولا يغير قبح الجريمة ، والتقاليد الرديئة لن يخفف من رداءتها أنها ميراث العصور ، وقد كان الاستبداد الفردى أخبث التركات التى آلت للاحقين من السابقين ..

ومع تطور نظام الحكم انداحت الدائرة التى يسطر الاستبداد فيها اذاه ، ربما كان هذا الاستبداد لا يعدو قطعة أرض كالتى كان «كليب» يضع عليها يده ، ويلقى فيها بجرى ينبع فيعلم الناس ان

هذه البقعة أمست حكرا على « كليب » .. !!

حتى جاء هذا العصر فأصبح الاستبداد قدرة حاكم أو جهاز حكم على فرض الاتحاد قسرا وأخذ الأجيال الناشئة به طوعا أو كرها ، كما يفعل الشيوعيون حيث يحكمون ..

أو قدرة حاكم على تزوير الانتخابات العامة ، وجعل الكذب الوقاح عملة متداولة شائعة ، ينظر إليها الكبار والصغار وقلوبهم منكرة وألسنتهم معقودة .

وبذلك يستقر الأفك وينهار الخلق وتمتلىء الحياة العامة بالوصوليين من أهل الجراءة وبالبرادع من أهل الزلفى !

وقد ملأ الحكم الفردى أغلب الأقطار قديما ، وكافحت شعوب عظيمة حتى نجت منه وان دفعت الثمن غالبا حتى استردت حريتها وكسرت قيودها ..

وشهدت الإنسانية عصرا من الشورى على عهد الخلافة الراشدة ، كان الحاكم فيه نموذجا رفيعا للإنسان الطيب المتواضع ، اللين الجانب ، الرحيم بالناس ، السليم من علل التطلع والكبر ، الذى يرى الكبير أبا والصغير ابنا والباقيين اخوة . الملتزم بقوله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ﴾ .

ولم تقم للشورى يومئذ أجهزة دقيقة لأن طبيعة الحياة كانت تقوم على البساطة ...

ومع ذلك فإن أرقى ما وصل إليه « الغرب » فى حضارته

الإنسانية ، أو في فن الحكم ، لم يزد عما حققته الخلافة الراشدة من أربعة عشر قرناً ..

قرأت حواراً بين الرئيس كيندى — الرئيس الأسبق للولايات المتحدة — وبين ممثلى بعض الصحف الأمريكية ، قال فيه صحافى يتحرى الحقائق لأكبر زعيم فى العالم : مستر كيندى ، هل رحلة زوجتك إلى أوروبا على نفقتك الخاصة أم من مال الدولة .. ؟ وأدلى « كيندى » بما عنده دون تأفف ..

وذكرت للفرح حواراً مماثلاً دار بين عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي : قال سلمان لعمر بن الخطاب : نرى ثوبك طويلاً سابغاً ، وكلنا كميّش الأزار ، ما حصل أحدهنا إلا على ملابس قصير فمن أين لك هذا ؟

وأحسن عمر كانه متهم باستغلال الحكم فقال : قم يا عبدالله ابن عمر فحدث الناس ...

وقام عبدالله يقول : إن نصيب أبى من الثياب المفرقة لم يكن بغنية لأنه رجل طوال ، فمنحته نصيبى ليكمل حلته .. !

واتضح الموقف ، وقال سلمان : الآن قل نسمع .. !!

لقد وصل الغرب إلى ما وصل إليه من حرية على جسر من الدماء والاشلاء ، أما العرب فإن الإسلام منحهم هذا الطراز من الحكم هدية من السماء ، وليتهم قدروا ما نالوا وصانوه !!

على أية حال إن طريقة الإسلام فى إدارة دفة الحكم هى التى

جعلت الشعوب تفتح ذراعيها له ، لأن الحكم كان عبادة لله ، ولم يكن شهوة منهموم إلى العظمة ، أو مفتون بالسلطان ..

وإدراك أن الحكم مسئولية مؤرقة هي التي جعلت الخليفة في المدينة المنورة يعد نفسه مسئولا عن أطراف الدولة البعيدة حتى قال عمر : لو عثرت بغلة في العراق لحسبت عمر مسئولا عنها لِمَ لم يسو لها الطريق ...

ثم جاء من رأى الحكم غنيمة تكثر فيها الأرزاق ، كما حكوا عن هارون الرشيد . أنه رأى غيمة مارة فقال لها : أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك !

ثم جاء عبيد يرفلون في النسيج الغالى ويتطلعون إلى ماهو أنعم كما قال أبو الطيب في أحدهم !

يستخشن الخز حين يلبسه وكان يرى بظفره القلم .. !!
والويل لأمة يكون الحكم فيها شهوة مريض بجنون العظمة ، أو شهوة مسعور باقتناء المال .. !

وفي ديننا نصوص كثيرة ترفض الرياسة ، والحرص على الامارة ، وتوصي بحرمان عشاق المناصب من المناصب التي يعشقون ..

وفيه ترهيب من استغلال النفوذ ، وجعل الحكم مصيدة للثراء سواء كان ذلك للمرء أم لأقاربه ..

وفيه تخويف من الظلم ، والاستهانة بآلام العامة ، وإيصاد الأبواب دون مطالبهم .

وحسبك أن من ولى أمر عشرة من الناس جييء به يوم القيامة
مغلولة يده إلى عنقه ، فكه عدله ، أو أوبقه جوره .

ومع هذه الآثار الحاسمة فإن التقاتل على الامارة كان سمة
ملحوظة في تاريخنا ، ولم يكن ذلك بداهة تنافسا في مرضاة الله
وخدمة عباده ، بل كان تنافسا على حطام الدنيا ومتاعها المدبر !!
وعانت الرسالة الإسلامية والجماهير الإسلامية من سيطرة
السفهاء .

وما آل إليه أمرنا في هذا القرن من سقوط الخلافة وعبودية الأمة
في القارات كلها هو النتيجة المحتومة لذلك العوج .

إن الاستبداد السياسى — فيما رأينا من قريب ومن بعيد — ليس
عصيانا جزئيا لتعاليم الإسلام ، وليس إماتة لشرائع فرعية فيه ، بل
هو إفلات من ربقة ودمار على عقيدته .. !!

ولإي والله أشك في إسلام عدد كبير من حكام المسلمين ، بل
في إسلام عدد ممن حملوا القابا دينية لها رنين وبريق ، واعتقد أن بقاء
الكفر في الأرض ، والزيغ في شتى الأفئدة ، يرجع إلى مسالك أولئك
الذين شانوا تاريخنا ولوثوا دعوتنا ، وأعزوا من أذل الله وأذلوا من
أعز الله ...

ولكى يستبين وجه الحق فيما أقول يجب أن يعرف أن كلمة
التوحيد كما تعنى افراد الله بالعبودية تعنى أيضا ما يسمى في عصرنا
بحقوق الإنسان وكرامات الشعوب .

منها فهم عمر أن الناس يولدون أحرارا فليس لأحد حق في

ان يستعبدهم وأن البشر عبيد أمام الله وحده ، وسادة أمام غيره فما يسوغ أن يتلاشى إنسان وتذوب ذاته أمام إنسان مثله .

فكيف يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ؟ ولماذا تنشأ أوضاع يكون الولاء فيها لشخص ، يهاب أكثر مما يهاب الله ، ويرجى أكثر مما يرجى .. ؟ -

إن الاستبداد السياسى صنع هذه الأوضاع وحماها .. وقبر تحت تراها الأخوة الإنسانية والدينية فليس ثم إلا فرد يرغب ويهرب وآخرون يزدلفون ويرتقبون ، ومراسم غريبة لوثنيات سياسية أعقد من الوثنيات التى اختلقتها الجاهليات الأولى ..

أما وجه الله وحكمه ، فشئ يجرى فى المرتبة الثانية إن جاء ...

إن عبادة القصور على امتداد العصور ديانة خسيصة خلقتها . الحكم الفردى ، وزحم محاريبها بالاقزام والافاكين ..

وهى ديانة زاحمت الإسلام الحق وهزمته فى ميدان الحياة العملية وجعلت العبقريات تنوارى والامعات تتكلم بصوت جهير !!



كتابات خدام السلاطين

من سنين قرأت أن الشعب الفرنسى فى انتخاب حر قال
« للجنرال دييجول » لا أريدك .. !

فجمع الجنرال أوراق مكتبه ومضى فى هدوء إلى بيته ..
والجنرال دييجول هو محرر فرنسا من الاحتلال الألمانى ..

قلت : لو كان الجنرال عربيا فى بلد عربى لقال للشعب ..
أنا أنحى ؟ إنك أحقر من أن تكون شعبا لى .

إننى سأبقى لأؤدبك حتى تتعلم احترام العظمة .. !

قال لى صديق : أنت مخطيء ، إنه لو كان فى بلد عربى
ما أجرى هذه الانتخابات أبدا .

ولو أجزاها لهيئاً كل شىء قبل خوضها ليخرج بالأغلبية
الساحقة ..

قلت : يظهر ان رأيك هو الأصوب .. !

وتدبرت الأوضاع السياسية فى الأمة الإسلامية ثم شعرت
بغصة ، لأن الدين القائم فى ظل هذه الأوضاع مطلوب منه أن
يحسن القبيح ويقبح الحسن ، وفى الدنيا منافقون لا تحصيلهم

عددا يرحبون بأداء هذه الوظيفة ... أهذا إسلام وأولئك حكام؟؟

لقد كانت أرضنا — قديما — تصدر الحق والشرف والصدق والأمانة ، فماذا تصدر الآن في سياسة الحكم والمال ؟

والغريب أن ناسا يتخذون ما كتب في عصور الاضمحلال نبراسا ، ويظنونونه دين الله ، وبذلك يضللون الأجيال الراغبة في فهم دينها .

والكتابة في السياسة الإسلامية لا تقبل إلا من المصادر المعصومة ولا تقبل من خدام السلاطين ومداهنيهم ، ومؤلفات هؤلاء منتشرة في الأسواق مع الأسف .

قال لى طالب جامعى : إنه قرأ — في تسويغ خروج الحاكم على الشورى — موقف أبى بكر في حرب الردة ، وكيف مضى على رأيه رافضا رأى عمر بن الخطاب وجمهور الصحابة ! وكان الخير فيما فعل ..

قلت له : في هذا الكلام جملة أخطاء فاحشة ، أولها أن مقاتلة المرتدين ومانعى الزكاة وأدعياء النبوة ليست رأيا اقترحه أبو بكر ، أو اجتهدا خاصا به ! إنه النص الذى ورد في الكتاب والسنة ، فأبو بكر ينفذ ما ثبت ، ولا اجتهد مع النص ولا شورى كذلك مع النص ..

ولو كان أبو بكر حاكما مدنيا ما وسعه إلا إطفاء الفتنة المسلحة بالسلاح ، فكيف وهو يعرف الأحاديث التى توجب قتال المرتدين حتى الموت ، والقضاء على اضرابهم من الهمج ؟

ثم من قال : إن الصحابة كانوا ضد هذا الموقف ؟ ذاك كذب محض !

صحيح ان عمر ثارت في نفسه شبهة ما كادت تولد حتى ماتت ، فما تحولت إلى رأى معارض أو موقف مناقض ، إنها تشبه الذى عرض له عندما أنكر وفاة الرسول بآدى الرأى ، ثم ثاب إلى الحق بعد كلام أبى بكر ، وكان أول من جند نفسه للعمل معه في ميادين الكفاح التى مهدها ..

والذين يسوقون هذه القصة ليضرب الحكم الفردى عرض الحائط برأى الجماعة ، يفعلون شيئين :

الأول : الزعم بأن رؤساء المسلمين وملوكهم على مر الزمان هم في مستوى أبى بكر ، بل في مستوى النبى نفسه ، ولهم ما لهم من حقوق .

الثانى : ان الخليفة الأول رفض الشورى ! وان الرسول كذلك لم يلتزم بها في الحديبية ! فلا أصحاب الفخامة أن يفعلوا ذلك ... وعلى أساس هذا الفقه المغشوش تذهب الشورى في مهب الريح ولا يولد لها جهاز صحيح .

وقد رأينا أن رفض الشورى في سيرة النبى ﷺ وخليفته الأول اختلاق لا أساس له ..

ولو فرضنا كذبا ان ذلك حدث فمن الذى يعطى ولاية السوء ، وعباد المناصب حقوق النبيين والصديقين ؟؟

وقال لى طالب آخر : إن الأستاذ المودودى يختلف معك فى هذا
التصوير للشورى الإسلامية !

قلت : رحم الله المودودى وأجزل مثوبته ، ما أظننى اختلفت
معه فى شىء طائل ، ولكن الملابس التى أحاطت بالرجل جعلت
أحكامه ما تفهم إلا فى ضوء هذه الملابس ..

لقد أيد ترشيح أخت محمد على جناح لتحكم الباكستان ، وفى
ذلك ما فيه .

وعندى أنه أفضل أن تحكم الباكستان امرأة من نوع
« أنديرا غاندى » عن أن تحكمها عساكر من طراز « يحيى خان »
الذى ما كان يفيق من سكر ..

إن المرأة التى رأت الهند استغلت خيبة الحكام العسكريين
للباكستان واستطاعت أن تلحق هزيمة فاحشة « بالفيلد مارشال
يحيى » قصمت ظهر الدولة الإسلامية الكبيرة وشطرتها نصفين ..
وقد فعلت « جولدا مائير » بالعرب ما فعلت زميلتها الهندية ..

ولو أن امرأة حكمت العرب من هذا الطراز لكان ذلك أجدى
على العرب من عسكر وضعوا على صدورهم أعلى الأوسمة ، فلما
جد الجدد تحول عمالقة الاستعراض إلى معز وضأن ..

إن امرأة على رأس حكم شورى أفضل من مستبد على رأس
سلطة مغتصبة ..

وبديهى أن ذلك ليس هو النظام الأمثل ..

والذى أذكره — من قراءة مر عليها ربع قرن — ان المودودى
يرفض أن تعترض الشورى حق السلطة التنفيذية فى اختيار الوسائل
والأدوات ...

وهذا مقرر فى الأنظمة الحديثة حيث لا تعترض السلطة
التشريعية أعمال أختها التنفيذية ..

أما القول بأن الإسلام أقر الشورى فى الحكم ، وأعفى الحاكم
من نتائجها ، وان البناء السياسى للأمة الإسلامية يقوم على هذا
الأساس فذاك كلام باطل ، وهو قد يقع على السنة لم تحسن دراسة
الإسلام ولا تدبر تاريخه ، ولا سير القافلة البشرية فى الشرق
والغرب ، ولا وظيفة الأمة الإسلامية فى العالم .

والويل للمسلمين إذا وقعت أزمته فى هذه الأيدى القاصرة .
وعلى الشباب المسلم إذا شاء أن يحترم دينه ، أن يحسن فقهه ،
والا تستفزه حماسة جوفاء وفتاوى جاهلة ..

ولابد من تحديد مواطن الشورى ، فربما ذهب البعض إلى أنها
تدخل فى كل شئ ! إن الشورى لا علاقة لها بالعقائد والعبادات
والحلال والحرام ، فهى لا تنشئ طاعة ولا تحل حراما ، إنها
كالاجتهد لامكان لها مع النص ..

ومع أن ذلك معلوم لدارسى أصول الفقه ، فإن من هواة الكلام
فى الإسلام جماعة رفضت أن تكون الأمة مصدر السلطة ! لماذا ؟
لأن الحاكمية لله لا للشعب .

وظاهر أن ذلك لعب بالألفاظ ، أو جهل بمعنى التشريع ،

أو خدمة للاستبداد السياسى ..

ولو راجعنا حصيلة المناقشات التى دارت فى مؤسسات الشورى
بالعالم كله لوجدناها تتصل بالشئون المدنية ، وربط الموازنة العامة ،
واحكام هيمنة الأمة على شئون الحرب والسلام ..

وقد وقع شئ يتصل بالحرام والحلال فى الولايات المتحدة
وانجلترا ، فمن نصف قرن تقريبا حرم ممثلو الأمة تناول الخمر
والاتجار فيها ، ثم وقعت فى أثناء التطبيق اضطرابات وهزات جعلت
الحكومة تلغى التحريم بعد عدة سنين من الحظر ..

أما فى إنجلترا فإن مجلسى العموم واللوردات تحت تأثيرات قدرة
لم يريا مانعا من إباحة صور من اللواط ..

ولم تيسر لى دراسة دقيقة لموقف الكنيسة من هذا وذاك ،
والظاهر أنها وافقت على اقتراح هذه الآثام ..

ونحن المسلمين نعرف أن الحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق
بأفعال المكلفين ، وإن الناس لا يملكون تحليلا ولا تحريما ﴿ ولا
تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا
على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون ﴾ .

وعندما نتحدث عن الشورى فإنما نعنى جميع الشئون الدينية
و الحضارية العادية . ثم جميع الوسائل التى تتم بها الواجبات الدينية ،
والأهداف الشرعية ..

وعندما ترى الأمة انه لا تفرض ضريبة إلا بإذنها ولا ينفق قرش

إلا بإشرافها ، ولا تقر مصلحة مرسله إلا برضاها ولا تعلن حرب
إلا بموافقتها .. إلخ فذلك حقها بداهة ..

إن ترك ذلك لتقدير فرد عبقرى أو يدعى العبقريه — وأكثر
الحكام من أولئك الأدعياء — هو ضرب من الانتحار !

وفى ربع القرن الأخير خاضت مصر حربا فى اليمن أفلست فيها
خزائنها ، وتعطلت مرافقها ، ولا تزال دائخة من مغارمها إلى اليوم
ذلك فوق عشرات الألوف من القتلى والمصابين ... وقد فعل ذلك
حاكم زعم لنفسه أو زعم له المنافقون حوله انه فلتة الدهر بعد
مينا وعمره !

أفلو كانت هناك مؤسسة محترمة للشورى كان يقع هذا
الخراب ؟ ..

ثم أنى أسأل : لمصلحة من يصور الحاكم فى الإسلام على أنه رجل
ذو سلطات خيالية ، الخضوع لها إيمان والانحراف عنها خسار ؟؟

قال عمر بن الخطاب لرجل قتل أخاه فى إحدى الحروب : والله
لا أحبك ! فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أيمننى ذلك حقا لى ؟

قال عمر : لا ... فقال الرجل لا شىء إذن ، إنما يأسى على
الحب النساء .. !!

ولست ممن يرتضون سيرة هذا الأعرابى الجلف .. ولكننى
أحببت أن أومئ إلى أن الحكم الدينى ليس كهانة وزلفى ..

وينبغي أن نفرق بين الولاء للدولة والولاء لشخص الحاكم ..
إن الولاء للدولة حق ، والانحراف عنها مزلة إلى الخيانة العظمى ،
وقد رأينا في تاريخنا صحابة وتابعين يخدمون الدولة الإسلامية في ظل
الإدارة الأموية — بتعبير عصرنا — وهم يكرهون نوع الحكم
وسلوك رجاله ..



الانتخابات بدعة !!!!

كثيرا ما رمقت المعارك الداخلية فى تاريخنا الإسلامى ثم حدثت نفسى : ماذا لو أن النزاع بين على ومعاوية بت فيه استفتاء شعبى ، بدلا من إراقة الدم ..

ولو سلمنا بأن الأسرة الأموية تمثل حزبا سياسيا له مبادئ معينة ، فماذا عليها لو تركت آل البيت يكونون حزبا آخر يصل إلى الحكم بانتخاب صحيح أو يحرم منه بانتخاب صحيح ؟

قال لى متعالماً كبير : إن الانتخاب بدعة ا

قلت له : وسفك الدم واستباحة الحرمه هو السنة ؟

قال : إن الغوغاء لا رأى لهم .. قلت ألم يكن هؤلاء الغوغاء هم سواد الجيوش المقاتلة مع هذا وذاك ؟ قبلناهم مقاتلين ولم نقبلهم ناخبين !؟

إننى — باسم الإسلام — أرفض الأخطاء التى وقع فيها حكامه القدامى والمحدثون .. ليس لأحد من أولئك جميعا حصانة تجعله فوق النقد ..

الذى أعلمه من دينى أن محمدا عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ، وبركة نامية للمستقدمين والمستأخرين ، وأن الأمويين

والعباسيين والعثمانيين يقتربون منه أو يتعدون بمقدار وفائهم لله أو غدرهم بوحية الخالد ...

وتقاليد الحكم خلال هذه العصور هي كأي موروثات أخرى ينظر إليها على ضوء الإسلام ولا ينظر للإسلام على ضوءها .

ومرة أخرى أؤكد أن أوضاعنا السياسية تؤخذ من المصادر المعصومة لا غير .

ونظام الانتخاب كنظام الامتحان أجدر المقاييس بالإيثار والابقاء وإن كان كلاهما يحيف .

وقد سمعت كثيرين يزرون على رأى العامة ، ونظرات إلى ما يطلبون من عوض فلم أر شيئا ...

إننى أحتقر الجاهل الذى يقال له : تعلم ! فيقول : أخشى الترف العقلى ، وأحتقر البائس الذى يقال له أقبل على المال ! فيقول : أخشى طغيان الغنى .

وأحتقر متحدثين عن الإسلام يستكينون فى ظل أحقر استبداد ، فإذا حدثهم عن عمود الشورى فى الإسلام قالوا ذلك رأى الرعاع !! والأمر لأهل الحل والعقد لا للرعاع ..

وكيف يوجد هؤلاء المأمولون المنشودون المسلمون أهل الحل والعقد ؟ إن كان اختيارهم للحاكم فالأمر كما قال أبو الطيب :

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم ...

وإن كان لجمهور الأمة ، فلا بد من الانتخابات ..

وسوف يفهم من كلامى أنى أحبذ الأسلوب الغربى فى الحكم ،
وربما كان هذا بعض ما أرى ، أما رأى كله فإنه قبل الاقتباس من
أى نظام عالمى للوسائل التى تحقق قيمنا الفريدة — يجب احداث
تغييرات جذرية فى الطريقة التى نحيا بها ..

لقد كنا فيما مضى طليعة هادية .. ثم أطفالنا نحن ما بأيدينا من
مصاييح .. ثم شاركنا الهمج حياتهم .. ثم تقدموا هم وبقينا فى
السفوح .. ثم بدأنا نشعر بأوضار الهزيمة وأشواق الرفع ، وبعد
سبات عميق شرعت قافلة الإسلام تتحرك .

بيد أن العالم الإسلامى الطويل العريض لا يزال يموج بجماهير
وحكومات لما تبلغ سنّ الرشد .. والعمل الأول هو كيف ينضج
ذلك الركام الكثيف من الخلائق .. ؟

والأمر لا يحتاج إلى فلسفة عويصة . فلنشرح ما نريد . ونحن
نستقبل القرن الجديد ..

نظرت إلى القلم الذى أكتب به فوجدته أمريكى الصناعة ..

وإلى ساعة يدى فوجدتها سويسرية ..

وإلى المنظار الذى يعيننى على الإبصار فوجدته من ألمانيا ..

وإلى الحذاء الذى أسير فيه فوجدته إيطالى الصنع ..

ثم إلى الثوب الذى أرتديه فوجدت المصدر من الصين الوطنية
ولكن الحياكة عربية ..

أما الملابس الداخلية فهى من مصر ثم تذكرت أن الآلات التى

نسجتها من أوروبا ..

وأخيرا نظرت إلى السيارة التي تقلني إلى عملى فكانت من
اليابان .. !!

ماذا صنعنا نحن ؟ لا شيء ! هل العالم كله منتج ونحن
مستهلكون ؟ ذاك شيء يخزى ..

وقلت : إنهم متقدمون فى مجال الصناعة — أعنى غيرنا — ولنا
مجال آخر .

ووقعت عيني على صحيفة محلية بها إعلانات شتى ، هذا عن
الدجاج الفرنسى ، وذاك عن التفاح الفرنسى ، وهذا عن الكعك
الفرنسى ..

وأنا أعرف أن طائرات « الميراج » الفرنسية سلاح محذور ، وأن
مهارة الفرنسيين فى الآلات الكهربائية والالكترونية شيء يتحدث به
الخبراء ..

إن تقدم « غيرنا » ملحوظ فى كل مجال ! فماذا نصنع نحن ؟
وصدمنى الجواب المر ، إن شعوبنا تعاني التخلف الذى يعانيه
طفل يسير وراء أبيه ، أو تلميذ وراء أستاذه !!

إننا شعوب لما تبلغ بعد سن الرشد ، سن الانتاج والاستقلال
والاستغناء ..

فهل نحن بهذا القصور العاجز أهل لخدمة الإسلام ؟ أو حتى
أهل للانتساب إليه ؟

ونظرت إلى حكوماتنا ، وهى كلها من أركان العالم الثالث فماذا رأيت ؟ إن العالم الآن تحكمه فلسفتان شائعتان ، كلتاهما تقدم منهج حياة وأسلوب عمل^(١) ..

الشيوعية الكافرة سواء كانت روسية أو صينية ..

والديمقراطية الغربية سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية .

وقد استطاعت الشيوعية أن توسع رقعتها وترسخ أقدامها في أماكن كثيرة حتى هيمنت على ربع العالم أو ثلثه ، وقادتها أذكىاء في استغلال أخطاء الخصوم ، والخلل الذى يملأ صفوفهم .

كما أن الشيوعية أفلحت في أن تكون أملا للشاكين من الحرمان والضائيق بالهوان ، فهفت إليها أفئدة الأغرار والحالمين في شتى القارات ..

أما الديمقراطية الغربية فقد لمت شملها في غرب أوروبا ، وتعاونت مع أمريكا الشمالية وأستراليا على دعم الحريات الفردية — بمفهومها هناك — وقبلت التعاون مع رجال الكنيسة وإعطاء مكان للدين في المجتمع .

واستغلت هى الأخرى جشع الروس في اغتصاب جيرانهم ، وأعلنت أنها — وحدها — حاملة راية التحرير والكرامة الفردية ..
والحقيقة أن لكتا الفلسفتين أنصارا مخلصين مهرة . وإن الصراع بينهما له بواعثه الممتدة ..

(١) حدث تغير عالمي تجاوز به العالم هذه الأوضاع التى كان لها شأن .

وقد انقسمت الدول العربية والإسلامية في تبعيتها لاحدى
الجهتين ! بعض الحكومات يدور في الفلك الشرقى ، والآخر يدور
في الفلك الغربى ...

لماذا ؟ لأنه ليس للعرب والمسلمين منهج عمل إسلامى ، بل ليس
لهم ولاء عارم للإسلام وتشبث ظاهر بعقائده وأخلاقه ومثله
وشرائعه ..

ومن ليس له من ذاته ما يحركه ويوجهه لا يستغرب منه أن ينجر
وراء الآخرين ..

وقد لاحت فرصة ليقظة أساسها الإسلام لما أقبل اليهود باسم
التوراة يمحون الوجود العربى الإسلامى فى فلسطين ..

ولكن الزعماء العرب استماتوا فى جعل قضية فلسطين جنسية
لا إسلامية ، وبلغوا هدفهم .

والقضية الآن من وجهة نظر اليهود دينية توراثية أما من وجهة
نظر العرب فهى ... توفير الخبز والسلام والحرية لجماعات من
المطرودين اللاجئين .

وإذا ذكر أحد الإسلام كمم فمه وغلت يده وسمى رجعيا .

أما بيجين وأحزابه فهم تقدميون ! شرفاء !

هل اتضح معنى ماقررته من أن الشعوب والحكومات العربية
لما تبلغ سن الرشد ؟ إنها فى وصاية غيرها ماديا وأديبا ، إنها عالة على
غيرها فى طعامها وسلاحها جميعا ..

وقد هبطت إلى ذلك الدرك لخوائها الروحي والفكرى ..
ومسئولية ذلك التخريب تقع على عواتق نفر من الفقهاء والدعاة
والرؤساء والساسة ...
وإذا كنا سنستقبل القرن الخامس عشر مستصحبين عوامل
الهبوط فلن تزداد أمورنا إلا خبالا .
يجب أن نراجع أنفسنا على عجل كي نضمن الحياة لديننا
ولأنفسنا ..



حول تطبيق الشريعة.

إن خدمة الإسلام فى هذا العصر عمل صعب معقد يحتاج إلى مجرد تام وفقه رحب ..

فأمام ركام من الموارث الثقافية والاجتماعية لابد من جراحات جريئة لبتز البدع والأوهام والمراسم التى تغلغلت فى حياتنا الخاصة والعامة وأفسدت نظرتنا للدين والدنيا ..

وأمام ركام من التقاليد التى رمتنا بها الحضارة الغالبة لابد من بصر دقيق بما ينفع وما يضر ! دون تشاؤم قابض أو ترحيب غافل ..

إننى أحيانا أغلغل البصر فى النظام الشيوعى نفسه لأتعرّف الجوانب التى تجتذب الجماهير ، والتى قد تكون بها اثاره من حق ، فقد تكون مأخوذة من تراثى أنا ، فإننى أذكر من سيرة « كارل ماركس » انه قرأ كتاب الخراج « لأبى يوسف » .

ويوم آخذ هذا الجانب فهى بضاعتنا ردت إلينا .

ثم إننى محتاج إلى الاستفادة من نشاط العقل البشرى فى كل قارة وفى كل حضارة إذا كان هذا النشاط يدعم قيما مقررّة عندى ..

وأجدنى مضطرا لذكر أمر مثير سوف يصطدم به خدام الإسلام
الصادقون ! هو الحق المتنقل على مر القرون ضد محمد ﷺ ورسالته
الخاتمة ..

إن الصهيونيين والصليبيين والملحدين من وراء المجازر الرهيبة
التي تعرض لها الدعاة وجمهور المؤمنين في أرجاء العالم الإسلامي
الكبير .

وقد استبنت أن بعض زعمائنا كانوا يخالب قط في مؤمرات
محبوكة للأجهاز على الإسلام وبنيه ، وقد تتكرر المؤامرة وتتعدد
المآسى ، وعلى المسلمين أن يصمدوا فإما الشهادة وإما النصر ...

على أن حركات الجماعات العاملة للإسلام هي السبب الأهم
وراء انتصاراته وهزائمه ، ولنقف وقفة متدبرة عند هذه القضية .

إن الإسلام عقيدة وشرعة ما يشك في ذلك عاقل ، وتطلعه إلى
أخذ مقاليد الحكم اتجاه طبيعي لتحقيق أهدافه .

بيد أن الترتيب المستفاد من تعاليم الإسلام أن تكوين الدولة يتم
بعد تكوين الفرد ، وأن وضع النظام يحىء بعد انضاج الإيمان ، وقد
تنزلت آيات الأحكام بعد مهاده عريض من اليقين والاخلاص وإرادة
الآخرة ..

إن التطلع إلى الحكم كما يكون لإعلاء كلمة الله قد يكون
لرغبات خاصة كامنة أو مكشوفة .. !!

والحكم الإسلامي قبل أن يكون لمعان أسماء أو تسنم مجد هو
تفان في الله ورغبة فيما عنده ..

وإلا فالأمر كما قال الله ﷻ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس
لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون .

وقد كنت أعظ نفسي وإخواني بهذه الحقائق من ديننا ، وأقول :
إنه قبل أن يكون المرء صاحب منصب رسمي يستطيع أن يؤدي
للإسلام أجل الخدمات في الميدان الثقافي والاجتماعي ..

والذين يسوفون في البلوغ بأماتهم سن الرشد — حتى يتسلموا
أزمة الحكم — لن يفعلوا شيئا طائلا حين يحكمون ..

وقلت — لنفسي وإخواني — إن الحكام في الشرق العربي
والإسلامي يعدون المناصب حياتهم .. فالرئيس أو الوزير في أوروبا
مثلا قد يترك وظيفته ويسير آمنا في أية مدينة أو قرية ..

أما في شرقنا العليل فإن عددا من الزعماء إذا ترك الحكم تابعته
ترات قد تودى به ، وتخترم أجله ، ومن ثم فإن حرصه على الحكم
لون من دفاعه عن حياته ..

ورؤساء كثيرون يشعرون بالخطر على أشخاصهم إذا أحسوا أن
الدعاة المسلمين ينشدون الحكم أول ما ينشدون ..

ومن أجل ذلك فهم يشمون رائحة الموت من وراء المطالبة
بالحكم الإسلامي .

ونحن المسلمين لسنا قتلة ، ولا تحركنا عداوات خاصة ، ولا
نطلب الحكم لنحيا ويفنى غيرنا ..

ويسرنا أن نكون في الصف الثاني إذا احتل الصف الأول من
يحقق مراد الله ...

وفي الصف الثاني مجالات هائلة لمن يريد أن يسدى للإسلام
يدا ، وإذا كان حجم ما يتم في هذا الصف قليلا ، فلا ضير علينا ولا
يكلف الله نفسا إلا وسعها ..

من أجل ذلك أطلب بالحاح أن تنشغل الجماعات الإسلامية
بترقية شئون الأمة في نطاق ماتقدر ، ويجب أن تعلن باستمرار أن
الإسلام دين ودولة ، ولكن هذا الاعلان لا يجوز أن يكون عملها
الشاغل ..

إن الأمراض النفسية بالغة الخفاء شديدة الخطر ، وتحقق لى ذلك
— في صفوف المتدينين — وأنا أرقب الحرب بين المجاهدين الأفغانين
والزحف الشيوعي المحتاح للبلاد .. !!

كانت هناك ست جبهات أو ست طوائف تقاوم غارة أولئك
الكفار المجرمين ، وقد حاول أولو الألباب جعلها جبهة واحدة وبدلوا
جهودا موصولة لإزالة الفرقة ، وكان نجاحهم جزئيا ولا تزال
المحاولات تبذل .. !!

إن قلب الإسلام مهدد بالتوقف في أفغانستان ، والموت يأتي من
كل جانب ومع ذلك فالرؤساء الكبار حراس على مناصبهم أو على
زعامتهم .. !!

إن في ذلك مؤشرا إلى مهاب الهلاك ، ومصادر العطب ...

وإذا كان نصر الله ينتزل في هذه الميادين القصية فمن أجل الجنود
المجهولين وذوى الكفايات الذين لا يعرفون إذا حضروا ولا يسأل
عنهم إذا غابوا . !

لقد استيقنت من تجاربي أن قلة الفقه سوء كبير ! لكن غش
النية سوء أكبر ..

هناك مسلم « سلفى » يموت ولا يضع يده في يد مسلم
« صوفى » ، هل هذا يصلح للدفاع عن الأمة أو السير بتعاليم الإسلام
في الميدان الدولى ؟؟

وهناك مسلم يرى أن العمامة لباس الإسلام الرسمى ، ويجب أن
يكون لها ذنب ، ويرفض الصلاة وراء من لا يرتدى هذا الزى ،
أذلك امرؤ يصلح للدفاع عن الإسلام أو السير به في الميدان الدولى ؟؟
إن أمتنا مصابة من الناحية الفكرية والخلقية بعلل شتى ، وكل
جماعة تؤخر علاج هذه العلل ، وتجعله في المرتبة التالية ، فهي هازلة
في جهادها ، متهمة في قصدها ..

وقد أشرت إلى الخلل الهائل ، الموروث أو الطارئ ، في كياناتنا
الدينى ، وبقي أن نتكاتف ضده ..

ونعود إلى ما بدأنا به ..

إذا كان هناك أقوام اختصموا في ربهم فنحن المسلمين طرف
في هذه الخصومات الباقية إلى آخر الدهر ...

نقول لمن ينكر وجود الله : كذبت ، الله حق ! والكون كله

خلقه الفقير إليه ، القائم به !

ونقول لمن يرى الالهة ثلاثة أو أقل أو أكثر : ضللت فالله واحد ، وما عداه عبده سواء كان ملكا أو إنسا أو جنا ..

ونقول لأهل الأرض كلهم : إن محمدا رفيع الشأن ، عرف الناس بالله أحسن تعريف ، وأعدهم للقاءه بعد الرحيل عن هذه الدنيا بأمرين ، الإيمان والصلاح ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ .

ومن حق الإسلام أن يحيا ، ويبقى وينمو ، ويمتد ! مادام هناك مستمسك به ، راغب فيه .

ولكننا نشعر بأن أعداءه يضنون عليه بهذا الحق ، ويحاولون بالختل والجهر القضاء عليه ، أو تقليص وجوده في أضيق نطاق .. وقد استطاع أعداؤنا — بنفريطنا وخبثهم — أن يخرجونا وينالوا منا ويلدوا جانبنا ..

ولكننا صحونا من غفوتنا ، أو قمنا من كبوتنا ، وشرعنا نؤكد وجودنا ، ونوصد أبواب الفتنة التي انفتحت علينا من شرق وغرب .. !

وأحب أن تربو مشاعر الثقة في قلوب المسلمين الذين كتب عليهم أن يكونوا قلة في أوروبا أو أمريكا أو آسيا أو إفريقيا ، وأن يستمدوا هذه الثقة من أنهم وجدتهم الذين يعرفون الحقيقة التي بلغها أنبياء الله ، وإن موارد السماء التي معهم لا تحريف فيها ولا غلو ولا إفك .. !!

إن الباطل لا يرفع خسيسته أن يكون صاحبه غنيا أو قويا ..
المهم أن يكون أهل الحق صورة مشرفة له مترجمة عنه ..

في إنجلترا وفرنسا أربعة ملايين مسلم ، إن هذه الملايين الأربعة
بين مائة مليون من البشر التائهين عن الله يمكن أن يكونوا هداة
مقدورين ، وأساة مشكورين ، يوم يكونون مسلمين حقا .

وسيكونون سبة للإسلام ، وسدا دونه يوم تكون عقائدهم
زائغة وخلاتهم هابطة .

إن حساب العدد يخفى ، ويبرز حساب الكيف والأثر في بيعات
كثيرة ..

والهزيمة أو النصر شعور داخلي قبل أن تكون ظروفا خارجية .
كان أحد العسكريين — في الخمسينات أو الستينات — يحدثني
عن قطاع غزة ، وأنه خمسون ميلا على ساحل البحر في عرض عدة
أميال من فلسطين المحتلة ، وإن الدفاع عنه عسر !

قلت له : هذا الشعور أول أسباب الهزيمة ، إن الجندي الجريء
الجزور يشعر بأن القطاع — في شكله الحالي — رأس حربة ينفذ
منها إلى بقايا الوطن المغتصب ، ويعده كسبا لا عبثا ، أما الخور
فيتحدث عن الوضع باللغة التي تقول .

إن الأقليات الإسلامية في العالم تبلغ ثلاثمائة مليون كما ذكرنا أول
هذه الرسالة ، وهذا العدد إذا كان اتصاله بالإسلام عن طريق
شهادات الميلاد ، فإن عشر هذا العدد من الوثنيين المشركين سوف
يغلبه ، ويلحق به الخسار ..

وعندى حديث آخر إلى المسلمين الذين يعيشون كثرة في بعض أقطار أفريقية ، كثرة تبلغ ٧٠ ٪ في تانزانيا و ٩٥ ٪ في السنغال .
إن هذا الوضع شاذ بالغ الشذوذ ويجب أن يتغير لا بالحماس الطائش ولكن بالاعداد الذكي ، والخطى المدروسة ..

لقد اتضحت سياسة القوى المعادية للإسلام ، فقد قسمت الكيان الكبير أكثر من سبعين قطعة ، ثم وفرت لكل قطعة من العوامل المادية والأدبية ما يجعل الإسلام فيها يذبل ويتلاشى على مر الأيام ..
والخطة واحدة في الأجزاء التي سميت دولا مستقلة ، والأجزاء التي يحيا فيها الموحدون قلة منقوصة منكورة .

ولعل من إخواننا المتفرغين من يشرح في رسائل صريحة كيف تم صنع خمسين دولة في إفريقيا وآسيا يتيه فيها المسلمون ، ويحيون دون رباط روحى أو فكرى ودون كيان اجتماعى أو اقتصادى ..
وكيف شغلوا الجماعات الإسلامية في الدول المستقلة بقضايا سخيفة ، ومعارك خاسرة ..

وكلمة أخيرة إلى المسلمين في دولهم المستقلة .

إن الفرق بين العالم الأول والعالم الثالث لا يرجع إلى أن المتفوقين قادرون على غزو الفضاء وصنع الطائرات العملاقة ، إن هذا مظهر التفوق لاسببه ..

الواقع إن الفرق هو النشاط الذهني عند هؤلاء والكسل الذهني عند أولئك ، هو غزارة العلم هنا وضآلة العلم هنالك ، هو توفير الفرص لنمو الأقوياء في الشعوب المتقدمة ، وتوفيرها لنمو التافهين

والسفلة فى الأمم المتخلفة ..

أى إنها أسباب خلقية ونفسية قبل أى شىء آخر ..

ويستطيع المسلمون المخلصون أن يقهروا العقبات التى تعترضهم
فى هذه الميادين مهما كانت جسيمة ..

ونحن لا نكلفهم بصنع المعجزات ، فلينظروا إلى خصومهم
اليهود وكيف تحملوا التحريق والتزيق وصنعوا من آلامهم جسرا
عبروا عليه إلى أرضنا وعرضنا ..

إننا نمثل أصدق وأقدس رسالة لعبادة الله ، وترشيد الحياة وتكريم
البشر ..

وعلى العرب أن يعرفوا فضل الإسلام عليهم ، وانه أكسير
وجودهم وبقائهم ، لقد دخلوا به التاريخ فلما خانوه خرجوا من
التاريخ أدلة مطرودين .

نعم ، هل العروبة هى التى هزمت فارس والروم ؟ لو أن العرب
خرجوا من جزيرتهم يحدوهم عمرو بن كلثوم ببيتة المشهور :

ونشرب ان وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا .. !!

لضربوا بالنعال على حدود الدولتين العتيقتين ، ولكنهم خرجوا
وراء عمر الخاشع لربه المتساوى مع خادمه الذى خاض بقدميه بركة
ماء دون تأفف وهو يقول : كنا أذل الناس حتى أعزنا الله بهذا الدين
فمهما ابتغينا العز فى غيره لن نفلح ..

على هذه الهيئة التقية المحبته لله تسلم مفاتيح بيت المقدس ..

ونقوها لغرب اليوم بصوت عال : إن فلسطين لن يحررها إلا جيش مسلم ، أما تجمع العرب بلا دين فلن يحرر جحر نملة . !!
ويجب أن يكون ولاؤنا للإسلام جادا ، متقدما على كل ولاء آخر للتراب أو للدم ..

ومقتضى هذا ألا ينقطع لنا جوار بضرورة الغاء القوانين الاستعمارية وجعل الشريعة الإسلامية المصدر الأوحى للقوانين كلها ، وانعاش المعاهد الإسلامية المتخصصة حتى تستطيع سد كل ثغرة واجابة كل مطلب ..

إن محو الإسلام فى ميدان التقنين كان العمل الأول للاستعمار يوم عسكرت جيوشه فى بلادنا ، ومشت تحتال على أنقاضنا ، ومقدساتنا المهشومة .

من أجل ذلك لا ينبغي التسويف فى إعادة الحياة للشريعة التى أماتوها ، ورد مكائنها الرسمية المقصاة ..

وسوف يقاوم ذلك الأعداء التقليديون للإسلام الراغبون فى محو معالنه وفض اتباعه ..

وبديه أن ينضم اليهم سماسة جدد ، هم الشيوعيون الحانقون على كل ماله صلة بالسماء .. لقد تضافر هؤلاء وأولئك على محاربة الشريعة المبعدة ، وافتراء الأكاذيب عليها وعلى رجالها ، ولا دافع لكل هذا الغل إلا الكفر بالله ورسله ..

دهشت لأستاذ جامعى كبير كان مربوط اللسان مكسور القلم أيام الاحتلال الانجليزى ، وما عرف له فى المقاومة العامة تاريخ

ولا شبه تاريخ .. وبغته أخذت الصحف تنشر مقالات ملتهبة للرجل
الذى سكت نصف قرن عن الاسهام بكلمة فى الحياة العامة ، كلمة
لها قيمة وبعد ..

ماذا يريد هذا المتحرك المفاجىء ؟ شتم المطالبين بتحكيم الشريعة
والزعم بأن قطع الأيدى يتم فى « الشفابخانات » .. !!

إن الرجل الذى لم يعرف بالدفاع عن وطنه أصبح مدافعا عن
اللبصوص وسنجد فى الطريق كثيرا من هؤلاء « الأذكياء » ولن يعوقوا
القافلة السائرة ..

وعلى جماهير العرب أن يرفضوا تهويد أى بلد من بلادهم أو
تنصيره ، إن ذلك معناه سقوط مايسمى بالشرق الأوسط فى برائن
الاستعمار العالمى ، وعندما يضرب القلب فلا قيمة للأجنحة .

إن هزائم القرن الرابع عشر أغرت بنا من لا يدفع عن نفسه ،
ولقد تناوبتنا اللطمات على الخد الأيمن والأيسر ، وشعرنا بمعاناة هائلة
من كثرة ما نالنا ..

لا بأس ، نحن الذين مكنا أعداءنا بنومنا الطويل ، واسترسالنا
مع الأوهام ، ولم نع قول ربنا ﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون عن
أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ ..

واليوم ، ومع مطالع القرن الجديد تدق طبول اليقظة .

إننا سنحيا برسالتنا وسنحيا لها ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى
منقلب ينقلبون ﴾ ..

أظننا لن نحرز نجاحا يذكر خلال القرن الجديد إذا بقينا على فقهننا الضيق المحدود الذى عشنا به خلال القرون الأخيرة ، فإن هذا الفقه لم يعالج الخلل المتوارث فى علاقة الحكومات بالشعوب ، ولم يساند الحريات الصحيحة ، ولم ينم القدرات على علاج الأخطاء السياسية والاقتصادية الشائعة فى بلادنا ..

وفى بلادنا تقاليد ربما كرهت الحرام — أو الرذيلة — لأن فى الضمير الدينى بقية حياة ..

ولكن هذه التقاليد لا توسع دائرة الحلال ، ولا تزيج العوائق المبعثرة فى طريقه ، فكانت النتيجة أن حرمة الزنى مثلاً بقيت ! ويجب أن تبقى — ولكن الزواج تكاثرت حوله الصعاب ، حتى يئس البعض من مناله ..

وهذه السلبية فى الفكر الدينى ترشحه للموت ، ولا تؤهله للحياة ..

ومثل ذلك اجماع أهل الدين على أن الظلم حرام ، والكذب حرام ومع ذلك فهم يسكتون سكوت المقابر إذا وقع تزوير عام فى انتخابات لخدمة فرد ، كأن الكذب يستنكر إذا كان بسيطا ، ويسلم له إذا كان مركبا . !

ومن المستحيل أن تصلح الأوضاع السياسية للمسلمين إذا كان الدين فى وعيهم يهتم بفقه الحيض والنفاس ، ولا يكثر لفقه المال والحكم ، بل إن مستقبل المسلمين كله سيخضع للحديث الصحيح « لا تقس أمة لا يقضى فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متع » .

لماذا لا نقتبس من الديمقراطيات الغربية

إن الديمقراطيات الغربية اجمالاً وضعت ضوابط محترمة للحياة السياسية الصحيحة ، وينبغي أن ننقل الكثير من هذه الأقطار لتسد النقص الناشئ عن جمودنا الفقهي قروناً طويلة ..

وقد قلت ومازلت أقول : إننا أغلقنا باب الاجتهاد قرابة ألف عام ، فإذا سبقنا غيرنا في شئون إنسانية مطلقة ، فلا معنى لاستكبارنا عن الاستفادة منه ، ولا معنى لابتداء السعى من حيث وقفنا متجاهلين كدح غيرنا نحو الكمال !

والنقل والاقتراس هو في خدمة مبادئ مقررّة عندنا ابتداءً ، أى اننا ما خرجنا عن خططنا العتيد ، ولا ارتضينا أهدافاً أخرى ..

إذا حصّنت الشورى هناك بضمانات شتى لمنع الطغيان ، واقدار المحققين على النصّح والنقد والمعارضة فى أمان ، فلحساب من ترفض هذه الضمانات ؟ لله ولرسوله أم للفساد السياسى المتوطن فى أكثر من قطر ؟

إذا حصّنت الأموال العامة والخاصة بضمانات مضاعفة لتنقية المكاسب ، ومنع السلب والنهب ، أو إذا بحثت أحوال المرهقين والعجزة لسوق عون شريف لهم ، فما الذى يصدنا عن نقل هذه الحصانات والاستقضاءات لحراسة مجتمعنا ؟ الحق ان التقاعس فى

هذا المجال لا يقع إلا لخدمة ولاية السوء وحواشيهم ، وإبقاء الجماهير
حبيسة تقاليد وضعها لصوص كبار

في الربع الأول من القرن العشرين حصلت مصر على دستور
من أحدث الدساتير وأقواها على حماية الأفراد والجماعات ، لم يعبه
إلا أنه اعتبر منحة من « الملك » ، بيد أن بنوده أمكنت النواب من
اعتراض نفقات الملك لما أراد أن يصلح باخوته الخاصة من الموازنة
العامة !

وانتصرت إرادة الشعب ، وسد باب من أبواب السطو الملكي
الكريم !!

وبقى هذا الدستور ثلاثين عاما ، عطل في أثنائها مرة ، وزورت
الانتخابات في وجوده مرارا ، ومع كل الأزمات التي أصابته فإن
الحريات العامة تغلبت على العلل المصنوعة ، فتمت الرجولة ،
ونضجت الكرامة ، وانتعش العلم والأدب ، وتكونت جماعات دينية
قوية ، واستطاع الإخوان المسلمون أن ينسجوا شبكة من الشعب
الفتية في أرجاء البلاد كلها .

لكن الأمر الذي يقبض الصدر ويحدث الأسى أن موقف المتدينين
من هذا الدستور كان قلة الاكثراث .

فالأزهر الرسمي كان إلى جانب القصر الملكي ، والهيئات
الإسلامية الشعبية تقدر النعمة المتاحة لها في ظل هذه الحريات
المبدولة ..

ولكن شيئا من هذا لم يكن يميز لجمهور المتدينين. أن يقف

متفرجا في ميدان الصراع بين القصر والوفد على احترام هذا الدستور
أو إسقاطه ..

فإن ضياع الحرية واستبداد الفرد هما مهلكة الأمم والقيم وذهاب
اليوم والغد ..

ذلك ، والرجال الذين لا يكسبون نصراً للدين في مجال الحرية
ليسوا أهلاً لقيادة ، ولا احقاء بالبقاء في أى ميدان .

وأذكر أنى — من ثلث قرن — قابلت أستاذى الكبير الامام
حسن البنا ، لأشكو إليه موقف المتدينين عامة من قضية الحريات
الدستورية ، وكان يصحبنى الأستاذ خالد محمد خالد ، وبوصفى
عضوا مؤسساً في جماعة الإخوان فقد تحدثت يومها كثيرا ، وكان
حوار عاصف قلت فيه : إن المركز العام لا يدفع عن الدستور كما
ينبغي ، وتمادى بى الغضب فقلت : كأنى أسمع جرس الملكية يدق
هنا !!

وكان الإمام الشهيد أحلم منى وأرزن ، فرد اتهامى بلطف ،
وأصدر أمره إلى مجلة الإخوان أن تنشر لى ما أكتب ولو كان ضد
سياسة الجماعة !!

ويرحم الله الرجل الكبير ! إن الملكية الخائنة أهدرت دمه ،
واستباححت جماعته ..

ومضى الاستبداد في طريقه ، فإذا حريق هائل يلتهم بقايا الإيمان
والرجولة في البلد المحروب ، ولم يعرف المتدينون — إلا بعد تجارب
طاحنة — ان الحرية مهاد الابهاء والخلق واليقين والإخلاص ..

إننى بوحى دينى وتجربتى أرفض الاستبداد السياسى جملة وتفصيلا ،
وأقرر أن المذاهب الإلحادية ما تبلى هدفها إلا فى غياب الدساتير
الصحيحة وتزييف إرادات الأمم ، وتمكين نفر من الفراعنة ليعبثوا
بالحياة العامة كما يشتهون !!

وأقرر كذلك أن المنتسبين إلى الدين حين يجهلون هذه الحقائق ،
فهم أعداء أنفسهم وأعداء دينهم على سواء ، وإن مقاليد الأمور فى
أيديهم لن تكون إلا ظلمات بعضها فوق بعض .

إن رجل الشارع فى القاهرة أو بغداد أو دمشق لا يجوز أن يكون
أقل استمئاعا بالحرية أو مناقشة للحكم من أخيه فى لندن أو باريس
أو واشنطن .

ويوم يكون المسلم أدنى من غيره فلا كرامة للدين الذى
بعثته !!

وهنا يرد سؤال مهم : قد قررت نوع الحكم الذى يجب أن
يسود كل بلد إسلامى ، والمعروف أن المسلمين اليوم بين ربع العالم
أو خمسة ، فما الرباط السياسى الذى يجمع بينهم ، ويضم شتاتهم ؟
إن هذا السؤال يقفنا حتما أمام طبيعة الرسالة الإسلامية ،
والأخوة التى تجمع بين أبنائها على اختلاف العروق والألوان ، وهو
سؤال يقفنا أمام تاريخ طويل للخلافة الإسلامية فى صورها الوسيمة
والدميمة على سواء !

ظاهر من طبيعة الإسلام انه دعوة متحركة تعرض نفسها على
أى إنسان حيث كان ، والقرآن الكريم إنسانى النزعة والوجهة

يتعامل مع الفكر المجرد ، ويتخطى العصبية والجنسية ليستقر في القلوب وحدها .

ومن ثم فإن جهاز الحكم فيه ، أو منصب الخلافة باسمه يقوم على هذه الأسس :

(أ) نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان .

(ب) رد الشبهات التي قد تثيرها الدعوات المضادة .

(ج) تحشيد قوى المؤمنين ضد أى عدوان يجرى من هنا أو هناك .

(د) الاسهام مع قوى الخير في العالم على رفع مكانة الإنسان عامة .

ودعامة ذلك كله أن تكون الأمة الإسلامية نفسها صورة صادقة لدينها في الداخل والخارج ..

ولا نستطيع الزعم بأن الخلافة الإسلامية في القرون الغابرة نهضت على هذه الأسس ..

والمسلمون مجمعون على وصف دولة الخلافة الأولى بأنها خلافة راشدة ! هل يعنى ذلك أن وصف الرشد حكر على الأربعة الأوائل ، وان الخلفاء بعد ذلك ليسوا — على الإجمال — أهلا له ؟

الواقع ان جمهور المسلمين كاره ، أو ضائق ، أو منكر ، أو منحرف عن أغلب الخلفاء الذين ولوا أمره !!

وقد سمي عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس وهو

من الأمويين وقد تجدد سادسا أو سابعا من العباسيين أو العثمانيين .
 أى أن الراشدين يعدون على الأصابع خلال أربعة عشر قرنا ،
 أما جمهور الخلفاء بعد ذلك فهم حكام حظ الدين منهم قليل ،
 وأنصبتهم من العلم والدعوة تافهة ، ومع ذلك فقد حكموا باسم
 الإسلام ، وحاولوا تكميل نقصهم بطرق شتى من الولاء له وتبني
 شعائره وشرائعه ودعم سلطانهم به ...

والخلافة نيابة عن رسول الله ﷺ في رعاية مصالح الأمة الدينية
 والمدنية ، أى أنها أبوة روحية وثقافية وسياسية للمسلمين كافة تعبد
 الله بتعهد خلقه والسهر على شئونهم ، ومن هنا كان الإمام العادل
 أول السبعة الذين يظلمهم الله ، يوم لا ظل إلا ظله ..

وقد تقلصت هذه الحقيقة على مر العصور بنسب متفاوتة ،
 وتحول الخلفاء إلى أناس يختلون الدنيا بالدين ..
 ولعل السبب الأول هو نظام الوراثة الذى جعل الأهواء البشرية
 تهزم القيم الدينية ..

فالمفروض أن يختار الناس — بطريقة ما — أفضل رجل فيهم
 ليكون قائدهم وإمامهم ، بيد أن هذا الفرض استبعد ، لتقذف الوراثة
 برجل من بنى أمية ، أو بنى العباس ! فيفرض نفسه على الألوف
 المؤلفة في أقطار الأرض الواسعة ، سيدا مطاعا ، وإماما مهيبا !!

والمواهب الإنسانية لم تأخذ هذا الحظ في البروز والتألق ، فقد
 كان أبو الطيب شاعرا مفلقا ، ولم يرث ذلك عن أبيه أو أمه ولم
 يورث منه الأدبى ابنا له ، ولكن قانون الخلافة ألزم الجماهير

بتحية الاعجاب تقدم لابن المتنبي العاجز ، أو لابن ألى العلاء الذى لم يولد !!

ولولا التاريخ العلمى للإسلام ، ولولا جهود الاتقياء من فقهاء ودعاته ومرييه ومجاهديه المشهورين والمغمورين لغربت شمس من زمن بعيد ..

وكان آخر الخلفاء — أو السلاطين — من آل عثمان شبها محقورا لهذا النظام الجائر ، فلا عجب إذا رمى بالخلافة فى البحر قائد متفاهم مع الصليبية العالمية التى طال تربصها وبلغت آخر الأمر مرادها ..

إن المحنة التى أصابت الإسلام بفساد أوضاعه السياسية طويلة الذبول ، مستطيرة الشر ! ولا يفكر مؤمن عاقل فى إعادة الخلافة الإسلامية بصورتها المستقبلية التى ظهرت بها ..

ولكن التفكير يشغل ألوف المؤمنين فى ضرورة عودة الخلافة على نهجها الراشد الأول ، وكلما مر يوم شعر المسلمون ب فقرهم إلى قيادة عامة تلم شملهم فى المشارق والمغارب ، ذلك أن للقوى المعادية قيادات عامة ترسم خططها بخبث ، وتضرب بعضهم ببعض دون هواده ، فما يجوز بقاؤهم على هذه الفرقة القاتلة ..

لنبحث إذن كيف تكون للمسلمين وحدة شاملة وخلافة عظمى .. ؟

تساءلت : ألا يمكن تحوير ودعم المؤتمر الإسلامى لتحقيق هذه الغاية ؟ إن المؤتمر يتكون الآن من أربعين دولة مسلمة ، بيد أن

المسلمين أوسع دائرة من هذه الدول الأربعين ، إن القلة المسلمة في الهند أرئى من عشر دول عربية .

ومعنى هذا أنه لابد من تمثيل طوائف المسلمين في العالم كله وهم موزعون على نحو أربعين دولة أخرى كما بينا سابقا ..

فإذا أعيد تشكيل المؤتمر ليكون لكل تجمع إسلامى صوت ، وإذا كان رأى الكثرة ملزماً — من النصف أو بالثلثين — وإذا اختير أمين عام تتجسد فيه آمال المسلمين وآلامهم فإنه يمكن أن يأخذ هذا الأمين وضع الخليفة ..

ولابد من مواجهة قضايا عالمية ومحلية تعترض مقررات هذا المؤتمر ولن يكون الطريق أمامه معبداً ، ولابد من الاقدام والتصدى للكارهين !!

وثمة اقتراح ثان .. ألا يمكن تحويل الدول والدويلات الإسلامية إلى « ولايات متحدة إسلامية » على غرار النظام الأمريكى ، ويكون الرئيس المنتخب من جماعة المسلمين في إفريقيا وآسيا هو الامام المنشود ، أو أمير المؤمنين .

وهنا لابد من مصارحة الأمة الإسلامية التى توطن فيها الفساد السياسى دهرا .. إن تزوير الانتخابات خيانة عظمى ، وإذا كنا قد رفضنا توارث الخلافة لأنه يأتى بأدمغة تافهة ، فإن التزوير الذى اتقنه بعض الحكام لن يأتى إلا ببعض الفتاك والشطار وهواة الفرعنة ، ووجود هؤلاء طاعون يفتال الكفايات والأمانات ..

إن انتخاب خليفة يجب أن توفر له جميع أسباب الحيلة

الدينية والخلقية ، وأن يكون آية في الشرف والتجرد ...
واقترح آخر ! هل يمكن أن يجمع بين أسرة الدول الإسلامية
والأقليات الإسلامية نظام يشبه « الاتحاد الكونفدرالى » تبقى فيه
المعالم المحلية ، ويجمع المسلمين هدف واحد في الميدان الدولى ؟
الأمر يتطلب على أية حال تعاون العلماء . بالفقه الإسلامى
والخبراء بالقانون الدولى حتى يمكن علاج قضايا كثيرة سوف تتطلب
الحلول ...

على أن تغيير الأوضاع السياسية للعالم الإسلامى لا يتم أبدا قبل
أن تسبقه تغييرات فكرية ونفسية عميقة .
فالحاكم الفرد إذا اطمأن إلى أن أظافره لن تقلم مضى فى بطشه
لا يخشى أحدا ..

والمستبد غالبا من أجبى الناس ، وما يغريه بالظلم إلا أمن
العقاب ، ولو كان فى بيمة يقول قائلها :

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه !
لفكر سبعين مرة قبل أن يضم أحدا ..

وقد استوردنا شكل النظام الديمقراطى فى بعض بلادنا فإذا هوى
الأنفس وخراب الأخلاق يحول أجهزة الشورى إلى أبواب ملق
ودعاية لفرد طائش .

وفى أيام يفاعتى كنت أرى الجماهير أحمى أنفا ، وأبين شرفا
فى بقاع كثيرة ، ولكن يظهر أن الخطة التى وضعت لتدويخ المسلمين
أتت ثمارها المرة .. !!

وهذا ارتكاس لا يدعو إلى يأس ، بل يدعو إلى مضاعفة الجهود
لإنقاذ أمة تحمل أجد رسالة عرفها العالم ، إنقاذها محليا وعالميا .

إن هناك يقظة إسلامية حسنة ، غير أن أمراضنا الموروثة لا تزال
تهبط بنا ، والأمراض الوافدة لا تزال تهاجمنا ، والأمر يحتاج إلى
دعاة^(١) علماء ، وساسة أتقياء ، وحصيلتنا من هذه الفئات شحيحة
بالغة الشح ..

قد يكون العزاء ، أو يكون الرجاء في أننا أصبنا في تشخيص
عللنا ، والتشخيص الصحيح خطوة جيدة في طريق العافية ! لعل
القرن المقبل يكون خطوة فسيحة إلى ما نصبو ، والأمل في جانب
الله يحلو .. لكن لا أمل بدون عمل !



(١) هناك مشغولون بالعلم الديني يرون أن تجارة الرقيق عمل مشروع ، وإن إنشاء
الذساتير بدعة مستغربة ، وأن الدعاية للإسلام باللطف لا بالعنف علامة ضعف ،
وأن سماع الموسيقى فاحشة ، وأن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس
خرافة ... إلخ .

ماذا يستفيد الإسلام من بقاء هذه العصابة تحمل أسفارها ؟

السوأة الكبرى

الطبيعة البشرية واحدة فى القارات المزدحمة بسكانها ، وعلى امتداد الأمس واليوم والغد .. والناس يذوقون آثار هذه الطبيعة حلوها ومرها وقلما تختلف أحكامهم عليها ، فالظلم مستقبح والعدل مستحسن والدناءة عيب والشرف محمودة ...

ومع ذلك فإن الذين يحبون العوج ويكرهون الاستقامة كثيرون وبلغ من كثرتهم ان ذلك كاد يعد طبعاً للناس ، فإن طغيان الظلمة سود تاريخ العالم :

وفى ذلك يقول المتنبى :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عانا
ثم يقول :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء للقناة سنانا
والواقع أنه وجد كثيرون لا يرون حرجاً من السطو على كدح العاملين واقتناصه سحتاً ، وكثيرون يرون راحتهم فى الخلاص من خصومهم ، والاجهاز على حياتهم ، وكثيرون يرون لذة المخالسة فى الاستيلاء على عرض حرام أولى من الارتباط به عن طريق الحلال الحلو والبارد العذب ..

والغريب أن الصور الجزئية لهذه الجرائم يمكن أن تضبط وتحاسب ، أما الصور الكبرى فإن الافلات فيها بالغنائم الحرام ميسور وشائع ..

وقد قرأت لأحد الصحفيين هذه الكلمات « اللصوص يسرقون ويهربون ، بعضهم يدركه العقاب والآخرون يفرون بما سرقوا ونهبوا دون أن يسهم أذى ! فالذى يسرق الرغيف يدخل السجن ، والذي يسرق الفرن لا يدخل السجن ! لأن سارق الرغيف لص ضعيف ، أما سارق الفرن فهو لص قادر يتعاون مع عصابات قادرة ، ويجد من الأموال التي سرقتها ما يقدره على تدويخ العدالة ، فهو يوكل أحسن المحامين عنه ، وبين براعة الدفاع وعناء القضاء تذهب الحقيقة » .

وافلات مجرمين من يد العدالة غير مستغرب ، ولكن المستغرب وجود لصوص من طراز آخر ، لصوص شرفاء جدا ، لا يهتمون ، ولا يقدمون للعدالة أبدا ، لصوص لهم مناصب مهيبة وألقاب طنانة وكلمات نافذة .. !! سرقوا شعوبهم جهرة ونمت لهم ثروات طائلة ، واحتبست الألسن في الحلوق فما تقدر أن توجه لهم لفظا !!!

والسرقات من هذا النوع تجيء عرضا ، أو تجيء تابعة للاستيلاء على السلطة ، والاستمكان من مقاليد الأمور ..

واغتصاب الحكم لشهوة عارمة شيء غير تولى الحكم باسم الله ورضا الأمة ، الأول فجور والثاني تقوى .

ويظهر أن الاتقياء في التاريخ السياسي للأمم كانوا أندر من الماء في الصحراء .. وإن الذين غلبوا على مضاير الأمم كانوا قطاع طريق

مهرة في سرقة الأجداد والكفريات ، وبناء الجاه والسطوة والابهة على أنقاض المستذلين والضائعين !

وقد حكى القرآن ان واحداً من أولئك الفراعنة جادل ابراهيم في ربه ، وزعم أن له سلطانا يضارع سلطان الله في أرضه !! أليس قادرا أن يعدم من يشاء ويستبقى من يشاء ؟؟

كان المألوف في سلطات هؤلاء الحكام أن يعلن أحدهم الحرب ، ويسوق إلى ميدانها الألوف المؤلفة من الناس كي يحققوا له مجدا ويكتبوا بدمائهم سجل عظمته ..

وكان المألوف أن تجبي ثمرات الأرض لشخصه الكريم ضرائب مباشرة وغير مباشرة لتلبى أولا حاجاته وحاجات أتباعه ، ثم يرمى الفتات الباقي للمصالح العامة ..

وقد سبقتنا أوربا إلى تقليم أظافر حكامها ، فقتلت بعضهم في ثورات حانقة ، ووضعت دساتير دقيقة لضبط مسالك الباقين ، حتى صار الحكم هناك خدمة عامة يختار لها الأكفأ ، ويراقب من خلال أجهزة يقظة ، ويطرده ولا كرامة ان بدا منه ما يريب ..

أما الشرق الإسلامي فإن الفساد السياسي بقي في أغلب ربوعه حتى القرن الرابع عشر للهجرة ..

إنه متأخر بضعة قرون في طريق التقدم العالمي ، ولا يزال اغتصاب الحكم فيه سهلاً ، ولا يزال الحكم وتلق الحاكمين أخصر طريق للمال والجاه ..

وما يثير الدهشة هو الفرق الكبير بين تعاليم الإسلام

وأحوال المسلمين ...

وما يثير الدهشة أكثر وأكثر هو موقف المشتغلين بالعلوم الدينية وفقه الشريعة .. كان هؤلاء كونوا بطريقة خاصة ليكونوا حواشي للحاكمين !

لقد فزعت وأنا أرى كبيرا منهم يصفق بيديه — مثل صبي طائش — تكريما أو إرضاء لأحد الحكام !!

إننى أعلم أنه من أجل ذلك اختير ! لكن الهبوط ما ينبغي أن يبلغ هذا الدرك ولو لحماية المظاهر . والسقوط الخلقى آفة بعض رجال الدين ، ولكنى أظن ذلك سببا ثانيا لفساد الحكم في العالم الإسلامى . أن السبب الأول هو خلل التفكير الفقهي عند الجمل الغفير من المتكلمين في الفقه !

سمعت جدالا بين أناس يتحدثون عن حكم لمس المرأة ولمس إحدى السواتين ، والأقوال المتضاربة في هذه القضية !

فقلت لهم : هذه أحكام تقرر في خفوت ، ويذكر الخلاف فيها بكثير من التجاوز ! وأمرها لا يستحق هذا الحماس ولا ذلك العناد !!

فنظروا إلى مستنكرين ! فقلت لكبيرهم : أتعرف شيئا عن السوأة الكبرى في الإسلام ؟

وجاء الرد بسرعة ، أى سوأة ؟ قلت ضياع الإسلام في الأندلس وذهاب ريمه وانتهاء دولته ومحو حضارته ! هل درست أسباب ذلك ، وأخذتم الحيلة حتى لا تتكرر المأساة ؟

إننى أدهش عندما يجيئنى متفعر يسألنى : هل يقضى المأموم الركعة إذا لم يقرأ الفاتحة ولكنه أدرك الإمام راکعاً ؟ لقد قلت لهذا السائل : الجمهور على أنه لا يقضى ! فقال بسماحة : لا ، يجب أن يقضى والسنة الصحيحة توجب ذلك ! قلت له : مادام يؤثر الرأى الآخر فليقضى الركعة ! فأراد أن ينشئ معركة علمية فى هذه القضية فقلت له بصبر نافذ : إن تعلقكم بهذه الخلافات لا مساغ له ! أريد أن أسالك ..

التناصر بين المسلمين واجب ، فكيف ينصر المسلم فى أفريقية أخاه فى آسيا ، هل فكرتم فى ذلك ، واكتشفتهم وسيلة مادية أو أدبية ؟ إن الحكومات تعالج شئوننا عادية وعبادية خطيرة ، فهل فكرتم فى طريقة لنصحها ، وعرض وجوه الرأى عليها ، وإلزامها بالحق ان هى رفضته ، وتأمين معارضتها إذا فكر مستبد فى إيذائهم .

إن تخلف المسلمين شائن فى دنيا الناس فهل فكرتم فى أسلوب يكشف عنهم هذا العار ؟ حتى إذا تقدموا صناعيا وحضاريا أمكنهم أن يدفعوا عن عقائدهم ، ويحموا مساجدهم من نظم تريد إغلاقها ، ومنع اسم الله أن يذكر فيها ... ؟

فقال لى المتفقه المغفل : هذه سياسة وأنا أكلمك فى الفقه ! .

قلت : أنا أكلمك فى الفقه ، وأنت وأمثالك صرعى سياسات محقورة شغلت الجماهير بالخلافات الصغيرة حتى يمحى الفجار فى طريقهم دون عقبات ..

إن الاستبداد السياسى استطاع على تراخى الأيام أن يحذف

أبوابا مهمة من قسم « المعاملات » في فقهننا الضخم ! أو أن يجعل حقائقها ضامرة مهزولة لأن الكلام فيها مرهوب النتائج ..

ومن ثم طال الحديث في أمور هينة وكثرت فيها التفريعات والأخيلة البعيدة ، على حين صمت الفقه في الأمور الجلل .

وتم البت في قضايا المسلمين العظمى بين جماعات من الفتاك يذكرون أنفسهم وأتباعهم كثيرا ولا يذكرون الله إلا قليلا ..

وقد وقعت فواجع في بيئات الحكم يندى لها الجبين ، وأهيل عليها التراب دون تعليق ، ففى اليمن قتل أمير — أو تآمر — على قتل تسعة من إخوانه حتى تخلص إمامة المسلمين للأخ القاتل وحده !!

ومطلوب من الفقه الإسلامى أن يشغل بمكان وضع اليدين في الصلاة ! أو برفعهما قبل الركوع ! وهى أحكام تتساوى فيها وجهات النظر ، ولا يأثم مسلم ينجح فيها إلى السلب أو الإيجاب ..

نعم مطلوب منه أفاضة الكلام في هذه القضايا وتكوين عصابات من الرعاع تشغل المصلين بهذه الأحكام ، وتثير بينهم الفتن !!

أما سياسة الحكم والمال فعلاقة الفقه بها مقطوعة ، وحسب نفر من العلماء المعاصرين أن يرددوا فيها أقوالا سقيمة ، قررها الجبناء الهاربون أو المفكرون القاصرون ..

كانت النتيجة المريعة أن حكم المسلمين رجال لا يؤمنون على شيء ، ولا تحركهم إلا غرائز طفولية من جنون العظمة والاستئثار بالسلطة ..

ولم تكن القوة المعادية للإسلام غافلة ! ومتى غفلت ؟ إنها

بين الحين والحين تنفذ من هذه الثغرة في مجتمعنا لتهلك الحرث والنسل ، وهى تفعل ذلك بأيدينا نحن لا بيد زيد أو عمرو !

ومن أعصار طويلة وهذه الفوضى الفكرية تسود العالم الإسلامى وتعوج بخطاه عن كل هدف شريف فإذا قضايا كبيرة تموت مكانها لا يكثرث بها أحد ، وإذا أمور توافه يهيج لها الخاصة والعامة ... !

ومضت سنة الله فى أمتنا كما مضت فى كل مجتمع مختل ، فتدحرجنا من مكان الصدارة إلى ذنب القافلة الإنسانية ، وأسأنا إلى ديننا بقدر ما أسأنا إلى أنفسنا ...

وجاءت ساعات الصحو والمحاسبة وتأنيب الضمير ! وبدأنا نغضب لما أصابنا ونأسف لما ضاع منا ، فكيف العمل ؟

البعض يريد السير فى ذات الطريق الذى انتهى به إلى الدل .. البعض يرفض بكبر غريب أن يعرف لماذا تقلدنا غيرنا .. البعض يعجز عن فهم الفطرة الإنسانية ويظن الدين حربا عليها !



ملزمة أو معلمة

لقد أخطأنا خلال القرون الأخيرة أخطاء جسيمة دفعنا ثمنها تهويد وتنصير وتمجيس أقطار واسعة من عالمنا العريض ، ومطلوب منا الآن أن ندفع أكثر ، ومع هذا كله فإن ناسا يصطنعون التدين يشغلون أنفسهم بحكايا من الفقه الظاهري والخارجي والمعتزلي والسلفي والخلفي تتصل بشئون ماوراء المادة أو بشئون تعبدية خفيفة الوزن ..

أما ما يمس الإنسان ومضايير الجماهير ومستوى الحياة العامة ففكرهم فيه طفولي عليل ! وماذا تنتظر من متحدث عن الإسلام يقول : أجمع السلف والخلف على أن الشورى لا تقيد الحاكم !! لحساب من يقال هذا اللغو السخيف ؟

أهذا هو التفسير المجمع عليه لقوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ؟

ونشأ عن ذلك وجود حكام قهروا الأمم وأوردوها الختوف لأن الفكر الديني لم يستطع لإنشاء الكوابح التي تشدّهم إلى الوراء ، أما استطاع إيجادها ولا استيرادها !!

وقد تقاتل المسلمون في إيران والعراق فانظر ماذا يقول الأستاذ

مصطفى أمين في ذلك القتال .

« لا أستبعد أن يحصل الغرب والاتحاد السوفيتي واليابان على بترول إيران والعراق بمجانا لمدة عشر سنوات أو تزيد ! فالتدمير والخراب والدمار الذي حدث في هذه البلاد يحتاج إلى مئات البلايين من الدولارات لاعادة معامل البترول التي دمرت وأنابيب البترول التي خربت وعشرات المدن التي تحولت إلى أنقاض والمصانع التي تحطمت والعمارات التي تحولت إلى أكواخ ، وسوف تستعين إيران والعراق بالدول الكبرى وخبرائها والاتها ، وسوف تشتري منها أسلحة جديدة وطائرات جديدة وعبارج حربية جديدة بدل ماضاع في المعارك الطاحنة ! فلم تكسب الدولتان الشقيقتان إلا الخسارة ، وإلا قتل آلاف الأبرياء من النساء والأطفال ، وإلا كراهية وحقدا وبغضاء ستعيش مائة سنة قادمة على الأقل ، وإلا ضياع البلايين والافلاس التام » !

« كل هذا لأن مصير هذه الشعوب في يد بضعة أفراد مغامرين يعلنون الحرب وقتما يشاءون ويسوقون بلادهم إلى الخراب كلما خطر ببالهم أن يحصلوا على مجد مزيف ، أو أن يبدوا للعالم في صورة الغزاة الفاتحين . ولو كانت في هذه البلاد برلمانات حقيقية منتخبة انتخبا حرا ومناقشات ديمقراطية يتبادل فيها المختلفون الرأي بدل تبادل إطلاق الرصاص ، ولو كانت المناابر فيها قامت مقام المشانق ، لما سمحت الشعوب بمثل هذه المغامرات المجنونة التي تدفع الشعوب ثمنها من قوتها وحريتها وحياتها في غياب الحرية والديمقراطية والرأى الآخر . إننا في هذه المنطقة يجب أن نتعلم كيف نختلف . فنحترم من يخالفنا أو يعارضنا كما نحترم أنفسنا ، لا أن نبادر بالقاء تهم الخيانة

على كل من لا يتفق معنا في رأى أو يختلف معنا في طريق » .

الإسلام يمنحنا حرية الرأى ، ولكنه لا يسمح لفريق منا أن يفرض إرادته على فريق ، يفرض زعامته على أمة على الرغم منها ، أو يحول المسلمين إلى أغنام يسوقهم أمامه ، وكأنه الراعى الوحيد ، شرط الإسلام الأكبر أن يكون المسلمون أحرارا ولا مكان فيهم للطغاة ولا للعبيد ، فلا تزجوا بالإسلام في خلافاتكم .. وحاولوا أن ترتفعوا إليه ، بدل أن تنزلوه إليكم ! ويل للذين ينتزعون الرايات العظيمة ويحاولون أن يمسخوا فيها أحاديثهم .

الحكم الفردى بطبيعته ييغض أولى الكفايات الكبيرة ، ويتجههم لمرآهم ، ويغلق الأبواب في وجوههم !!

وأى فرعون من هؤلاء الذين تصدروا وحكموا تملكه غيرة المرأة إذا لمح ذكاء يتوهج أو همة تتقدم .. إنه على عجل يحاول إطفاء البريق وعرقلة المسير ..

وليس يعنيه أبدا أن تحرم الأمة الانتفاع من مواهب بنيتها أو مسابقة غيرها فى أى مجال مادى أو أدبى فإن همه الأوحاد أن ينفرد بالمجد ، وليذهب ماعداه إلى الجحيم ..

أمام ذوى الامتياز والمقدرة فرصة واحدة ليعيشوا ، هى أن يجثوا فى محراب الوثنية السياسية ، ويحرقوا البخور للحاكم بأمره ، وعندئذ يؤذن لهم بالتحرك فى حدود مايشاء ..

وقد رأيت فى تجارى وخلال دراستى لتاريخ أمتى أن عبقریات كثيرة ولدت فى ظلام هذه الأوضاع فليس كل ذى موهبة يصلح ذنبا

لصنم كبير ، بل إن أكثر المواهب تحتاج للتشجيع أو للتدليل كي تنتعش وتنمو . ورب عبقرى كبا أول عمره ثم أسعفته الأيدى الحانية فنهض ومضى فى طريقه ليتحول مع الأيام إلى قمة مرموقة . إن العبقرىات — فى أغلب الأحيان — تبدأ نباتاً رقيقاً يمكن أن تدوسه قدم غليظة فتأتى عليه ، ولكنه إذا وجد السقيا والرعاية نما وأزهر وأثمر .

وليت شعرى ماقيمة الأمم إذا قتلت أنفس معانها ، وتولى الرعاغ وحدهم قيادها ؟؟ فى أى ميدان علمى أو اقتصادى أو عسكرى وسياسى يمكن أن تنجح .. ؟

وإذا كان الحاسدون والحاقدون يستمكنون من اقتراف هذه الجرائم فماذا ننتظر ؟ سمعت رجلاً يقول إن الله قسم الحسد اثنى عشر جزءاً ، خص العرب بأحد عشر وقسم الجزء الباقي على أهل الأرض فهو يسرح بينهم سحابة النهار ، ثم يعود لينام فى أرض العرب بقية الليل !!

الحق أنى فزعت من هذا المثل الرهيب ! ولما نظرت فيه وجدت أن العيب ليس فى جماهير العرب ولكنه فى رؤسائهم وحكامهم من عهد مبكر ، أى أن الاستبداد السياسى هو الذى يتحمل وزر القتل العمد لعشرات ومئات من المفكرين والعظماء الذين أهيل عليهم التراب ليستمتع بالشهرة فرعون صغير هنا وهناك ..

ولا يزال الأولاد يدرسون أسماء الأشخاص الذين أبرزهم التاريخ السياسى ، ومن استطاع لسبب أو لآخر أن يحيا فى حواشيمهم !! أما كبار العلماء فقد رأيت فى عصرنا هذا عدداً منهم يموت

فى صمت أو فى غربه ووحشه فكم عدد من هلكوا خلال القرون
الماضية ؟ ألا يفكر فى ذلك من يبحثون عن سر تخلف المسلمين ؟
وعن سبب تفوق غيرهم ؟

إن الأجداد المعنوية تنتقل بين الأكواخ والقصور ، وبين السود
والصفر والبيض ، بين الناس على اختلاف أعراقهم وأحوالهم ،
وليست حكرا على سلالة معينة !

وقد اختار الله إبراهيم لإمامة الناس بعد ما نجح فى امتحانات
صعبة ، فلما فكر أن ترث ذريته الامامة من بعده ، رفض فكره ،
لأنهم قد يسقطون فى الامتحانات التى نجح هو فيها ..

والنظام الصالح هو الذى يعطى حق الحياة والثناء للجديرين
بذلك ، والذى يشد إلى أسفل كل من يريدون الصعود بالتزوير
والأثرة ، والذى يدمغ بالدناءة معترضى الكفايات من أى طبقة !!

يقول الأستاذ مصطفى أمين :

« فى بلاد الدنيا كلها عندما ينجح إنسان نهال عليه الورود
والرياحين أما فى منطقة الشرق الأوسط فإن فيها وباء عربيا اسمه وباء
محاربة الناجحين والقضاء على النابغين وتحطيم المتفوقين .

لا نكاد نسمع عن رجل نجح حتى نهال عليه بالطوب ، وهذه
طريقتنا فى إطلاق المدافع لتحية الأبطال الفاتحين . فإذا لم يكن الرجل
الناجح عند حسن ظننا وانهار تحت وابل الطوب ، أسرنا نهدهم
بالمعاول فإذا رأينا رأسا مرفوعا طالبنا بقطعه ، وإذا شاهدنا شركة
ناجحة أبلغنا ضدها الرقابة الإدارية ، فإذا الغيت الرقابة الإدارية

استنجدنا بالنيابة الإدارية !

البعض منا يعتبر النجاح خيانة عظمى يجب شنى مرتكبها المجرم الأثيم . أما الإنسان الفاشل فهو وحده الذى يستحق احترامنا — لولا أنه سرق لما نجح ! لولا أنه اختلس لما اغتنى ! لولا أنه خالف كل مبادئ الأخلاق لما تقدم كل الصفوف . عقلية العبيد هذه يجب أن نقاومها فى أنفسنا . ويجب أن نعتبر كل كفاءة فى بلادنا قلعة لابد أن نحميها من الاقتحام بالبلاغات الكاذبة ومن الشكاوى الوهمية ومن الاتهامات المزيفة .

اسمع عن كفايات فى بلادى تحارب ، وتقام العقبات فى طريقها ، كأن حزب الفاشلين يريد مطاردة كل كفاية والقضاء على كل عبقرية ، وتحطيم كل نجاح . والفاشلون عادة جماعة من الفارغين الذين يستطيعون أن يتفرغوا ٢٤ ساعة كل ٢٤ ساعة لتدبير المكائد ، ولاعداد الخناجر التى يطعنون بها ظهور الناجحين المتفرغين لعملهم ، والذين لا وقت عندهم للدسائس والمؤامرات ، ووضع الخطط للخلاص من الكفايات !

أذكر يوما أنه صدر قرار بنقل (مهندس كبير) من شركة كيما إلى شركة أخرى بلا ذنب ولا جريرة سوى أن موظفا كبيرا لم يستلطفه ! وحرمت كيما من رئيس كفاء ، ولم تلبث الأمم المتحدة أن اختارته خبيرا بها ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للصناعة ! وقد كان من الممكن أن يقضى القرار الخاطيء نتيجة الدسائس والمؤامرات على موظف كفاء ، واعرف أن طبيبا أنشأ مركزا كبيرا من أكبر مراكز العلاج فى الشرق الأوسط ، وانعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام

اللجيون دونير ، وأقام له الوزير المختص حفلة تكريم ، وما كاد ينتهى الخطباء من القاء خطبهم فى تكريم الطبيب المحتفل به حتى تقدمت ضده البلاغات ، وبدأت التحقيقات ! ولولا أن المسكين نجح فى عمله وتفوق فيه ونال وساما من دولة أجنبية وأقيمت له حفلة تكريم لما انتهالت ضده البلاغات .

واجبنا أن نحمل كل كفاية فى بلادنا ، وأن نحافظ عليها ، وأن نعلم أن الكفاية لا تحتاج إلى المنصب إنما المنصب هو الذى يحتاج إلى الكفاية . وان كل الذين حاربهم الفاشلون واضطروا أن يخرجوا من مناصبهم قرفا ، أو زهدا ، أو ضيقا وجدوا خارج هذه المناصب مناصب أخرى تدر عليهم أضعاف مرتباتهم ، إننا نحتاج إلى كل كفاء فى بلادنا أكثر مما يحتاج هو إلينا ..

والذى يحارب الأكفاء فى بلادنا إنما يحارب الوطن » .

إن الذى يحدث — عندما يتأمر العجزة — أحد أمرين : أن ينزوى الأكفاء ويعتزلوا المجتمع ، وتغلب عليهم فلسفة التشاؤم وفكرة التصوف ، وذلك ماغلب على تاريخنا القديم . ! أو يهاجروا إلى بلد آخر يلتمسون فيه العدل والنصفة فإذا وجدوا فيه مانشدوا ، جعلوا ولاءهم له ، وقصروا نشاطهم عليه ، وعلى ألسنتهم قول أبى الطيب :

وكل امرئ يولى الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب

وفى عصرنا الحاضر استطاعت الولايات المتحدة أن تظفر بأكبر قسط من العقول المهاجرة فدعمت تفوقها الحضارى بعقريات هائلة من كل قطر بعدما وفرت لها التقدير المادى والأدبى على سواء ..

وقد حضرت من بضع سنين مؤتمرا للطلاب المسلمين في الولايات المتحدة ، وسمعت وأنا محزون حوارا بين اثنين من الشباب المسلم ، استنبط منه أن أعدادا كبيرة من الأطباء العرب تخدم في أمريكا ، وأن حصيلة ذكائها ومخترعاتها في عالم الطب والدواء تذهب إلى شركات صهيونية متخصصة تضع عليها طابعها ، وتربح الألوف المولفة من ورائها ..

وفي إحصاء نشرته صحيفة الأهرام قرأت أن ٦٦ ٪ من العقول المهاجرة هي من العالم العربى ، فأدركت أن العالم العربى أخصب بقعة لرواج العملات المزيفة وصدارة النفوس المريضة وانتشار الكفايات المهیضة !!

والغريب أن الفكر الدينى سادته هذه اللوثة ، فعندما كنت في مكة وقعت مهزلة احتلال الحرم .. وكنت بادى الغضب على ماحدث فإن الأولاد الذين تحركوا تحت شعار السلفية لا قدم لهم فى الفقه ولا فى السياسة ولا فى شئون الحياة ، كل مألديهم بضعة أحاديث فى قضايا ثانوية مع تصور طائش لحاضر المسلمين ومستقبلهم ..

وسمعى أحد الناس وأنا أتناولهم بسوء الظن والقول ، فاقترب منى ناصحا ، وقال لى — ولست أشك فى صدق عاطفته — الأفضل ان تسكت ! ..

قلت : لماذا ؟ قال : إن أصحاب القلوب المؤمنة اتفقت رؤاهم على أن المهدي — عليه السلام آن ظهوره ، ويوشك أن يخرج ليملاها عدلا كما ملئت جورا .. !

قلت : وأين هذا المهدي ؟ قال معهم ! قلت وأنا أضحك من أعماق النفس : هذا الطالب الذي ترك الدراسة في إحدى الكليات لأمر ما ؟ قال : ليكن !!

قلت : عجباً لأمر أمتنا ، اليهود يقودهم حكماء صهيون المختارون من أعلى المواهب .

والنصارى يقودهم كرادلة مجربون لهم في خدمة الكنيسة تواريخ ناطقة ..

والشيوعيون تقودهم أنياب مفترسة قضت أعماراً متطاولة في الدرس والتطبيق ..

وأمة محمد وجدها هي التي يتولى قيادها طالب فاشل ! أهذا تفكيركم ؟؟ إن المسلمين — لطول رئاسة الاغبياء في مجتمعاتهم — فقدوا الخس بموازين الأمور ، ومعاهد المسؤولية ، فهم يحسبون المناصب حظوظاً عمياء لا أمانات بصيرة ..

وسوف يظلون دون العالم كله ماشاع بينهم هذا المنطق المشعوم ..



موازين العدالة في ظل الاستبداد السياسي

مع الاستبداد السياسي تضطرب موازين العدالة ، وتختل أعمال القضاء ! خصوصا عندما يتصل الأمر بشخص الحاكم أو أسرته أو أتباعه أو أسلوبه في الحكم .

إن المعارضين يجتاحون اجتياحا ، وقد تكتفى الحكومة بإبعادهم عن الوظائف الإدارية والتوجيهية إذا كانت معارضتهم في حدود الانحراف السلبي ، أو عدم الموالاة والتأييد .

أما إذا مست المعارضة هيئة السلطة وبقائها فإن التنكيل بالخصوم لا بد منه وعندئذ يقع الاعتقال القصير أو الطويل ، والسجن الخفيف أو الشاق ، والضرب أو التعذيب ، والقتل البطيء أو السريع .. !!

لا قضاء هنا ولا قضاة ، ربما ألقت لجان خاصة يطلق عليها اسم المحاكم العسكرية ، وهذه تنفذ الأوامر الصادرة إليها بعد اجراءات صورية ومخزية ..

في إحدى المحاكم طلب الرئيس من المتهم أن يقرأ الفاتحة « مقلوبة » .. !!

وفي إحدى المحاكم هذه غضب الرئيس لأن المتهم « سيد قطب » خاطبه بسيادة الفريق ونسى أنه فريق أول .. !!

وقبل أن نذكر طرفا من المأساة نسجل طرفة للطريقة الساخرة التى تعلق بها العامة على منهج القضاء فى ظل الاستبداد السياسى . !
قالوا : إن جمحا جاء إلى أحد الولاة يعرض عليه قضية تخصه ، فساق شكواه على هذا النحو إن لمولاي فيما أعلم ثورا أحمر — فأجابه الوالى : صدقت يا أبا الغصن فما باله ؟ قال : نطح بقرتى البيضاء فشق بطنها ، وأخرج أمعاءها وقتلها على الفور !! فقال له الوالى : وما شأن الوالى بذلك وأى سلطان لى على الحيوان ؟ أتريد أن أعاقب الثور على فعلته ؟ ألا فلتعلم أن دم الحيوان هدر !

فقال جمحا : صبرا ياسيدى وعفوا ، لقد دفعتنى العجلة إلى رواية القضية معكوسة ، فإن بقرتى هى التى نطحت ثور مولاي فقتلته !

فقال الوالى : ويلك ، لقد تغير وجه المسألة ، أعد على القصة لأرى فيها رأى من جديد .

والغريب أن العدوان على ذيل بغلة القاضى كان مثار لفظ سياسى فى بعض المؤتمرات ، أهو ذيل كسائر الذيول ؟ أم له مكانة خاصة ؟
إننا نذكر هذه الدعابات بين يدى أحزان وآلام أطاحت بحياة الألووف وطمائنتهم ، على طريقتنا نحن المصريين فى الضحك من كل شيء ، حتى من هزائمنا ومتاعبنا .. !!

كان المجاهدون يكافحون حيفا مضاعفا من هنا ومن هنا ...
وأرسل أحدهم إلى الأستاذ مصطفى أمين يستصرخه كى يتكلم ، والحق ان الرجل كان عند حسن الظن فنشر مابلغه ، وصدق فى

تعليقه عليه عندما قال :

« وصلنى فى البريد منشور من دمشق ، فى شكل ديوان شعر !
ما أروع الشعر الهارب من قبضة الجلاد . قافيته فيها رنين سجين
هارب ، تخطى الأسلاك الشائكة ، وغافل الحراس ، وقفز فوق
الأسوار !

اسم الديوان « انتحار أيوب » للشاعر محى الدين اللاذقانى .
وهو يروى قصة الشاعر الذى هرب من قلعة الطغيان والجبروت .
وهو يعاتب كل الذين صمتوا ولم يلعنوا الطغاة ، فلا يصنع
الطغاة إلا العبيد ..

وهو يلعن الذين سكتوا عندما كانت تداس الزهور بالأقدام ،
وعندما تحول الرجال إلى مطايا يركبها المستبدون .

وهو يتحدث عن جلده الذى ألفت السكاكين دمه ، وهو
يروى قصة الذين جاءوا بالليل وتسلقوا مقعد الحكم ، وتركوا
الشعب ينام بغير وسادة ، لا تغطيه حرية ولا ديمقراطية ولا عدالة ،
وإنما ريح من الحقد والضغينة وسفك الدماء ..

وهو يصور بلدا لا يعيش فيه إلا الغربان ، ولا ترى فيها إلا
الجنازات ، ولا تسمع فيه إلا صوت العويل على الذين يقتلون لأنهم
أبوا أن يمشوا فى موكب العبيد ! فى زمان التشقى تنبح الكلاب
ارتياحاً ، ويصبح الجبن حكمة والشجاعة جنونا والحماسة رجولة ..
واقرا شعر هذا الشاعر الذى لا أعرفه . فأجدنى أعرفه ، أعرف
كلماته ، أحس بالسياط التى ألهبت ظهره ، أشعر باللكمات التى

استباححت ضلوعه . أسمع صرخاته فى نفسى ، وفى نفس كل مواطن فى منطقة الشرق الأوسط عاش فى زمان حرم فيه من الحرية والديمقراطية والعدالة ومن حقوق الإنسان .

كلمات هذا الشاعر. يعرفها كل إنسان حرم من حقوق الإنسان .. كل مواطن عاش فى ظلام الحكم ، كل من عرف الدنيا بلا محكمة وبلا قاض وبلا ضمير . عندما يتحول ، « أعوان الخليفة » إلى ذئاب تأكل جثث الأحياء ، وعندما يصبح الأبرياء مصلوبين على الجدران وعندما يصبح صراخ المعذبين وعويل المضروبين غناء عذبا يشجى آذان الجلادين . عصر الرجال وهى تموت من جوع الحرية .

والشاعر يشكو من المدينة أنها لم تقم لتقتلع الطغاة من مقاعدهم ، وهو يهتمها بأنها تطيع الغزاة وتلبس أحلى الثياب لتغرى الحواة ، وتسكر فى يومها مرتين ، فى الصبح تشرب نخب الطغاة ، وفى الليل تغفو لتسلو وتنسى — ويقول : « هذه المدينة ليست دمشق ، فأنى أراها تدوس بنينا ، وإن الدراويش يموتون فيها ، وحتى العصافير تهاجر منها » !!

لا أيها الشاعر المقيد بالأغلال ! أنا أفهم سخطك على مدينتك . ولكن لا تظلمها . إنها ليست مستسلمة . إنها مقيدة بالسلاسل والأغلال حتى لا تتحرك ، ومكمنة حتى لا تنطق ، مغمضة بالعصابات السوداء حتى لا ترى الجرائم ! ولكنى أعرف الحرية ! سيجىء يوم تحطم فيه دمشق قيودها وسلاسلها وستتزع الكمامة من فوق فمها ، وسترفع العصابة من عينها ، وسوف تعود كما كانت دائما مدينة الحرية والأحرار ولن تنتحر ياأيوب ... وسيبقى كل

أيوب في سوريا على قيد الحياة . !

وكلكم أيوب . !! » .

يظن البعض أن العدالة تختفى في القضايا السياسية وحدها عندما يشعر الحكم الفردى بأن خصومه يتحركون ، فهو يضربهم بضراوة شديدة ، ويجعل النكال بهم رادعا لغيرهم ، وربما بقيت للعدالة ظلال في ميادين أخرى ..

وهذا ظن بعيد عن الواقع فإن الحكم الفردى يشيع في أرجاء المجتمع كله أخلاقا هابطة .. إنه مثلا يقوم على تزوير الانتخاب ، ويعنى ذلك إشاعة الزور والرضا بنتائجه ، واطباق الأفواه دون قول الحق أو نصرته !

وهو مثلا يحاى الأقارب وذوى الملق ويمنحهم من المكانة المادية والأدبية فوق ما يستحقون . ويعنى ذلك بخس القيم وتأخير الاتقياء وتقديم الفجرة وجعل النفعية والارتزاق وحب النفس هى الفلسفة السائدة .

أى أن العطب يتغلغل من ظاهر الجماعة إلى باطنها ومن ظاهر النفس الإنسانية إلى باطنها فلا يبقى شرف ولا دين إلا بضعة مظاهر لا تسمن ولا تغنى من جوع ..

وقد رأيت صحافيين نبلاء أفرعتهم أنباء التعذيب في القضايا السياسية ، وضياع العدالة في أثناء محاكمة المتهمين التعساء ، فأورد الأسئلة الآتية وقال : هل يجاب عليها بنعم ؟؟

هل يقبض على الإنسان « المتهم » ويسجن بناء على أمر رسمى

من مرجع قضائي ؟

وإذا سيق مواطن بتهمة ما إلى المحكمة ، فما سناد هذه التهمة ؟
أهو نص قانوني صريح ؟

وهل تجرى محاكمة هذا المتهم جهرة وعلانية بحيث يسمح لمن
شاء أن يشاهدها ، بدل أن تعرض من التسجيلات المعروفة ؟
وهل يسمح لهذا المتهم بالدفاع عن نفسه أو توكيل المحامين الذين
يختارهم للدفاع عنه ؟

ثم إذا حكم القضاء ببراءته هل يطلق سراحه ؟
وإذا حكم عليه بالسجن هل يعرف مكان سجنه ؟ ويمكن أهله
وأحبائه من زيارته ؟

وإذا حكم عليه بالموت هل يسمح له بكتابة وصيته ووداع
أسرته والسير في جنازته ؟

الحق أن في هذه الأسئلة إيماءات خفيفة إلى ما يقع ، وهي توجه
الباحثين إلى تعرف مراحل الفساد في القضايا السياسية ، وطرق
الاجهاز على المعارضين ..

وأحسن إجابة على تلك الأسئلة ما ذكره الأستاذ مصطفى أمين
في هذه القصة ..

دق الباب في منزل تاجر في دمشق ، وفتح التاجر الباب ، وقال
له ضابط كبير في الشرطة أريد أن أحدثك في أمر هام ، قال التاجر
تفضل . وبعد التحية المعتادة قال الضابط الكبير إن وزارة الداخلية

السورية عثرت في أرشيفها على ملف التاجر السورى ، واكتشفت انه كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين في عام ١٩٣٠ .

وتوقع الضابط الكبير أن يغمى على التاجر ، أو أن يركع على قدميه طالبا العفو والمغفرة ، فعضوية الإخوان المسلمين في سورية جريمة فظيعة يستحق مرتكبها الاعدام بغير محاكمة ، ولكن التاجر ابتسم ومد يده إلى درج بجواره ، وأخرج ورقة وقدمها للضابط الكبير وهو يقول : هذه شهادة ميلادى وفيها اننى ولدت سنة ١٩٢٤ فكيف أكون عضواً في الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٠ وعمرى ست سنوات ؟؟ بل كيف أكون في الثلاثينات عضواً في جميعه الإخوان المسلمين التى لم تتألف في سوريا إلا في الأربعينيات ؟

ولم يهتز الضابط الكبير وقال ان ملف وزارة الداخلية ورقة رسمية لا يأتيها الشك من خلف ولا من قدام ولا يجوز الطعن فيها أمام المحاكم . وهى أصدق من شهادة الميلاد ! وقبض على التاجر السورى ووضعه في السجن !

هذا التليفق هو سمة عهود الظلام . فعند إطفاء الأنوار يظهر الملقون والمزورون والنصابون ..

ويصبح التليفق أساس الملك ، فإذا أراد أحد الطغاة أن يتخلص من منافس له في حب فتاة أو أن يقتنص زوجة من زوجها ، أو أن يحتل شقة تعجبه أو أن ينتقم من جار يكرهه أو أن يتقرب إلى صاحب جاه أو سلطان ، فليس أسهل عليه من أن يلفق اتهاماً ، ويزور أدلة ، ويختلق مستندات ، وما أكثر شهود الزور في عصور الطغيان يقسمون على دفتر التليفون ويدعون إنهم يقسمون على القرآن ، ويحلفون

بالله وهم يحلفون بحياة الشيطان . وكم من أبرياء ظلموا بلا ذنب ،
وحكم عليهم بلا قضاة ، وسجنوا بلا جريمة بل كم من شهداء قتلوا
ودفنوا سرا لأنهم أبوا أن يعترفوا اعترفات كاذبة على أبرياء .

وليست سوريا وحدها التي حرمت حقوق الإنسان ، بل إن
بعض البلاد توهمت أن الثورة هي أن تثور على العدالة وتثور على
القانون ، وتثور على مبادئ الأخلاق ، وتثور على كل حق من
حقوق الإنسان . وفي كل يوم تصل إلينا من وراء الحدود قصص
مرعبة عن جرائم ترتكب ، ونساء تغتصب ومذابح تقع ، وأموال
تُهَبّ وحقوق تَداس بالأقدام وليس من حق المظلوم أن يحتج . وليس
من حق البريء أن يستأنف فالحاكم الفرد هو الشرطة وهو النيابة وهو
القاضي وهو الاستئناف ، وهو النقض وهو الإبرام وهو المفتي الذي
تحال إليه الأوراق قبل تنفيذ حكم الإعدام .

التلفيق هو العلم الذي يرفعه الطغيان لتعلم الدنيا أن العدالة في
أجازة !!

قالت الضفدع قولا : رددته الحكماء !
في فمي ماء وهل ينـ طق من في فيه ماء
عندما تحظر حرية القول فسيموت حق نافع ويحيا باطل مؤذ
ضار !

ستختفى القدرة على النصيح وتظهر الرغبة في الملق !
سيذبل الولاء للمبادئ وينمو الولاء للأشخاص !
إذا كان سنا البرق يبدو من التقاء سحب شتى فإن سنا الحق

يبدو من التقاء آراء شتى ، لقد إنتهى زمن المعصومين الذين يساندهم
الوحي ، ولا يقولون إلا الحق . أدرك العالم كله أن من جاء بعدهم
مهما شمخت عبقريته فهو يخطيء ويصيب ، ويكبو ويمضى ...

ولقد سجلت التجارب التاريخية أن أخطاء العباقره قاتلة ، وأن
الشعوب تدفع ثمنها من دمها ومالها وكرامتها .. فلا يجوز أن يحكموا
بلا معقب وأن يتصرفوا دون حسيب . وإذا وجب على الأمم أن تعتبر
بماضيها ، فالأمة الإسلامية أولى أمم الأرض بأن تحتاط ضد الاستبداد
السياسي ، وأن تمنعه من قتل مستقبلها بعد ما أسقم ماضيها وعرقل
خطوها وشل رسالتها .

وكل دعوة دينية لا تحسن الاعتبار بما كان فهي وبال على نفسها
ودينها ، ويجب أن ينصرف عنها المسلمون .. !!

تم بحمد الله تعالى وعونه

رقم الإيداع
١٩٩٠ / ٧٩٢١

الترقيم الدولي
I.S.B.N. 977 — 5087 — 00 — 7

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
هذه السلسلة .. وهذا الكتاب	
بقلم الناشر ..	٥
مقدمة .. بقلم المؤلف ..	١١
مدخل ..	١٥
الإستبداد السياسى ..	٣٣
كتابات خدام السلاطين ..	٤١
الانتخابات بدعة !!!! ..	٤٩
حول تطبيق الشريعة ..	٥٧
لماذا لا نقتبس من الديمقراطيات الغربية ..	٦٩
السوأة الكبرى ..	٧٩
ملزمة أو معلمة ..	٨٧
موازين العدالة فى ظل الإستبداد ..	٩٧
الفهرس ..	١٠٧

الكتاب التالى

من سلسلة : الإسلام دين الحياة

الإسلام والقتال

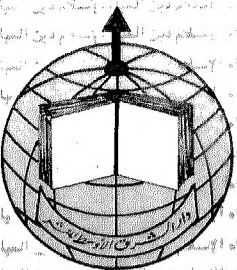
(مقدمة فى فقه القتال فى العالم المعاصر)

د . أحمد عبد الرحمن

يتناول أحكام القتال فى الإسلام فى الفقه الموروث .. وكيف تغيرت الأوضاع والظروف فى العالم المعاصر .. والحاجة لفقه جديد يعالج الأفكار الجديدة والقسمية الجديدة والقوى المتنازعة الجديدة .

هذا مايتناوله الكتاب التالى :

الإسلام والقتال



هذا الكتاب

**أزمة الأزمات في وطننا العربي وعالمنا الإسلامي هي أزمة
الشورى والإبجد السياسي ، وكما يقول المؤلف فإن الحكم
الفردي في أرجاء العالم الإسلامي قد أهلكنا من قديم الخرج
والنيل ، وفرض ألوانا من الجلاب العقلي والشلل الأدبي أدت
الأمال وأقطت الرجال ، هو الغريب أن هذا التخرب يتأصل منافضة
ظاهرة توجهات الإسلام في كل ناحية لها الإسلام دينها
حول هذه المعاني تدور موضوعات هذا الكتاب وهو صيحة
تحذير من غياب الشورى واستخفاف الحريات العامة وإهدار
أكرامات الشعوب**

